

معالم في مناهج تحليل الخطاب

الأستاذ الدكتور
أحمد مداس



بالعلم نرتقي
مركز الكتاب الأكاديمي

معالم في مناهج تحليل الخطاب

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2019 / 9 / 4512)

414.01

مداس، أحمد

معال في مناهج تحليل الخطاب / أحمد مداس. - عمان: مركز الكتاب الأكاديمي،

2019

(ص.)

ر.ل.: 2019 / 9 / 4512

الواصفات / الخطاب الأسلوب الأدبي / اللغة العربية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف

عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى 2019

(ردمك) 1-409-35-9957-978 ISBN

© Copyright

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في

نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. NO Part of this book may be reproduced, stored in retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission in writing of the publisher.

مركز الكتاب الأكاديمي



عمّان-وسط البلد-مجمع الضحيم التجاري

ص. ب : 11732 عمّان (1061) الأردن

تلفاكس: +96264619511 موبایل: +962799048009

الموقع الإلكتروني: www.abcpub.net

A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net

معالم في مناهج تحليل الخطاب

أ.د/ أحمد مداس

مركز الكتاب الأكاديمي



مقدمة

جرت البحوث في مناهج تحليل الخطاب على تكرار نماذج التحليل التي ترخر بها الساحة النقدية واللسانية، وقلما ترى تجديداً أو رؤية تقويمية للسائد والمعروض؛ فقد تجاذب الموضوع صعوبة الطرح النظري في مقابل صعوبة النماذج المقدمة إجراءً وتطبيقاً، فلا الباحث المقتدر قدّم معرفة للباحث الناشئ، ولا الباحث الناشئ وجد في الأعمال المطروحة معالم يهتدي بها، ويقارب من خلالها النصوص بغرض تحصيل المعارف في صورتها المنهجية والإجرائية التطبيقية.

في هذا العمل قراءات في المنجز النقدي واللساني المعاصر، تنحو إلى رسم معالم رئيسة في تفصيلها لحقيقة الطرح في الساحتين السالفتين. وعليه؛ تظهر العلوم المعرفية منعرجاً مهماً في البحث اللساني والنقدي من جهة التحول نحو مضامين النصوص ومحمولاتها الدلالية والتصورية التي تعطي لتحليل الخطاب وجوده المنطقي والمعرفي. وتُظهر بوضوح الصراع الجديد بين المدرسة الأمريكية وباقي المدارس الأخرى. وهذا معلم أول.

المعلم الثاني، التخصصات الينية التي تظهر في آخر الخيط الذي يبدأ بالعلوم المعرفية، حيث التوجه نحو المعرفة المركبة التي لا تستثني الموضوعات المشتركة ولا المناهج المختلفة في معالجتها لقضايا تخصصاتها؛ لتكون الصورة المنتهى إليها انفتاح طبيعي لتخصصات دقيقة يفرض ذاته

على تخصصات مقارنة وأخرى متباعدة ولكنها متكاملة، تحقق المظهر العام للمعرفة في مقابل المظهر الخاص لها، وهو ما يقضي تدريجياً على نقاء التخصص على الرغم من وجوده القصري، نحو تكامل المعارف بوصفه غاية يُجبر البحث على تحقيقها، ليجد لنفسه مكاناً في عالم تتجزأ فيه المعارف داخل كلٍّ موحد هو المعرفة العليا والكلية، التي تحتم على تحليل الخطاب التعامل معها نحو بلوغ الصورة التي تبدو الأكمل والأوضح، إن على مستوى العلوم وتنوعها، أو على مستوى النصوص ومحتوياتها، أو على مستوى المناهج ومقارباته.

المعلم الثالث، التجريب والقياس في مرحلة الحداثة حيث محاكاة الأعمال في تحليل الخطابات لنماذج سابقة، يقاس على مناويلها النجاح، والترتيب، وتكون قابلة للقياس الذي يحقق الهدف من جهة مقارنة معلوم واضح المعالم، ويّسن الرؤية، وإن كان في هذا الطرح تقليد وتكرار، تفتّن إليه الباحثون لاحقاً، من حيث لا تتحقق من المقاربات غير صورة التكرار والتشابه والمشاكل، فكان الاختلاف مطلباً شبه شرعي إن لم نقل شرعياً، يحقق معرفة مختلفة، منهجياً ومضمونياً، وقد حصل إلى حدّ ما مع ممارسات إجرائية حققت السبق، واكتسبت المكانة، وصارت منوالياً يُقتدى به، ونموذجاً يُحاكى، وهو ما أكد معلم التجريب والقياس، وصفة المشابهة والتكرار، دون أن ينفي مطلقاً صفة التفرد بوصفه بعض الأعمال نماذج تُحاكى.

وعلى هذا، جاء المنظور الثاني ممثلاً في صورة التجربة الفردية التي لا تقلد سابقاً ولا تحاكي نموذجاً سابقاً، وإنما تصنع فضاءً خاصاً منهجياً ومضمونياً، وتحقق رؤيةً بذاتها، ولم يكن ذلك ممكناً غير في مرحلة ما بعد الحداثة، مع المدارس الإنجليزية والأمريكية والألمانية ونظريات القراءة والتأويل والإدراك والإنتاج التي تعنى رأساً بكيفيات التداول والاستعمال وتدخل الذهن والتصور في الإنتاج والفهم والاستيعاب، بتجاوز الدلالة والتركيب والنص والخطاب، إلى تحليل متعدد الجوانب متكامل الرؤى، متجانس المقاربة، لا يأتي على يئانه غير المقتدرين الذين يقدمون تجارب فردية في شكل ممارسات ذاتية يجمعون فيها بين الذاتية والموضوعية من جهة، وبين الانتقاء والشمولية من جهة ثانية. وهي معالم فرعية تكمل المعالم السالفة، وتعطيها بعض الخصوصية والتميز، وإن كانت لا تعترف كثيراً بمرحلي الحداثة وما بعد الحداثة أو ما بعد الحداثة التي ارتسم معها المعلم الرابع.

المعلم الرابع عمل مشترك ومطول مع الباحثة الأكاديمية ربيعة أبو بكر، وقد حاولنا فيه مناقشة تمهلي القيم والمعارف وخروجها من الطبيعة المسلّم بها على صورة بذاتها، نحو الصورة الأكثر وروداً وظهوراً في وسائل التواصل الاجتماعي، وتصور نقد يحمل سمات الرقمنة والمعرفة، معتمداً على التكنولوجيا بوصفها تخصصاً بينياً ومعرفياً يشتغل على تخصصات مختلفة، بما يؤكد نظرية المعرفة المركبة، التي تشكل رغبة معرفية

كلية بفقاعات معرفية جزئية، لا يحسُن فهمها إلا داخل المعرفة الكلية والعليا، ليكون بين ذلك جميعا صورة الانسجام والتناغم التي لم تتحقق في أزمنة ماضية، ولا في مقاربات سابقة. ولذلك جرت التجارب الفردية على استقصاء المعرفة فيما يمكن أو لا يمكن البتّ فيه، من حيث إنّنا أمام الصورة والصورة المضادة على مستوى التناقض الظاهر، أو التكامل الباطن. وعلى هذا الأساس؛ تعيّن النقد المعرفي شكلا ونمطا لا ندعي جدته المصطلحية، ولكن الجدّة في المنهجية التي تفرضها التجارب الفردية، على مستوى طبيعة المقاربة ومداراتها، وكذا مستوى المضامين والمحتويات التي تعطي تجديدا وتميّزا وتفرّدا، لم يكن من حظ مقاربات مرحلة الحداثة إلا نادرا، ولذلك جاءت مرحلة ما بعد الحداثة ثم ما بعد الحداثة تباعا بتوالي التجارب الفردية.

وقد لوحظت صورة الانتقال والتحوّل إلى الأمام تطورا، وإلى الخلف استدراكا حيث بدا كل العمل منتهيا عند مراعاة الكلية والمعرفة العليا التي تندرج تحتها المعارف الدنيا والجزئية.

والحقيقة أن هذه المعارف لا تكتمل إلا بنماذج إجرائية لم يتحقق منها إلى الآن غير عمليين؛ أولهما متعلق بمرحلة الحداثة والتجريب والقياس، وقد جرى على تتبّع المشاكل والتباين في المنجز السيميائي المعاصر ممتطيا صهوة الخطاب الشعري، والثاني متعلق بالتجربة الفردية والتفاعل الرقمي من منظور نظرية التلقي، مقاربا النص السردي بعد اعتماد آليات الفيديو

الرقمي واستقصاء آراء وقراءات المتفاعلين. والعمالان معا يشتغلان على الانتقاء بوصفه نقطة جزئية تدور حولها المقاربة، إذ بوضوحها تتضح الشمولية. كما يشتغلان على موضوعية البنى اللسانية التي لا تغفل عن ذاتية الطرح من حيث محاكاة نماذج سابقة في الأول يانا للتجريب والقياس، أو من حيث تجربة فردية ذاتية الطرح تنحو إلى موضوعية المعرفة تحقيقاً في الثاني.

رجاؤنا أن يحقق هذا العمل هدفه المرسوم ضمن ما سمّيته: نظريات التأويل وتطبيقاتها في المنجز النقدي واللساني المعاصر؛ ولذلك جاء موسوماً بـ: معالم في مناهج تحليل الخطاب، بمنهج سمائي يستقرأ المنجز النقدي واللساني المعاصر ويصفه ويحلله بما تبين أنه مناسب زمن إنجازهِ. وليس توقفنا عند هذه المعالم يرسم علامات غلق الموضوع، بل يفتحها في نظري على ما لم يحط به نظرنا، وما لم يتحقق في معرفتنا، ليكون له في أعمال غيرنا ما يزيده عمقاً وجدةً، وقد يكون فيها ما يغني عن هذا الذي نعرضه بالبيان والإظهار، ونرجو له أن يعطي بقدر الجهد الذي بُذل في إنجازهِ.

أ.د/ أحمد مداس

المعلم الأول

علم الدلالة المعرفي وتحليل الخطاب

رؤية في الفهم والاستيعاب وتفسير ظواهر الإنتاج اللساني

مقدمة :

إنّ اللسانيات المعرفية في صورة علم الدلالة المعرفي أو علم الدلالة التصوري وما تعلق به من مقاربات معرفية يشتغل على تكامل المعارف وتداخلها وفق منطق ذهني خالص؛ فالفكر والوعي والذكاء عناصر مهمة تحييب عن عمل الذات البشرية وهي تنتج الكلام والخطاب. وعليه؛ فإنّ معارف كعلم النفس وعلم الاجتماع اللغوي وفلسفة اللغة وثقافة الجمع والإعلام الآلي وغيرها من المعارف تجد منافذ في إنتاج الخطابات تفسيرها، بل وتفسير الظواهر المؤثرة في كينونتها، بوصفها مظاهر تهيمن على وجود الإنسان. وهذا وجه.

الوجه الثاني يكمن في اليسر والسهولة اللذين يجدهما الإنسان في الحديث وإنتاج الخطابات وعيا ولا وعيا في مقبل صعوبة فهم وإدراك الكيفية شرحا لهذا الفعل اللساني المعقد، إن على مستوى الأداء أو على مستوى المضامين بوصف الخطابات أنظمة تواصل ترتبط بعلم الدلالة للتعبير عن المشاعر والأفكار والتجارب بحثا عن العالم المشترك أو العالم المختلف. ببساطة نحن أمام ظاهرتي اكتساب اللغة وإنتاج الخطابات

وفهمها. وإذا كان الفعل الكلامي اللساني في هذا لمقام ذا طبيعة نفسية ومعرفية؛ فإنه يكتسب أهمية اجتماعية كون إنتاج الخطابات يوافق تصورات ذهنية ووسائط ثقافية واجتماعية محدّدة.

إنّ الأصل ليس في ضرورة معرفة اللغة، ولكنّ إتقانها في سياقاتها الاجتماعية أمر أكثر من ضروري؛ ذلك أنّ الوجود الكلامي اللساني يحيل بطريقة آلية على تلك السياقات التي تصنع في الأذهان التصورات الكفيلة بفهمها وجودة إدراكها من حيث البنيات المهيكلية كالدين والفن واللغة بوصفها أنظمة رمزية، ومن حيث البنيات المهيكلية كالتواصل والتفاعل لغة وثقافة وسلوكا، بما يضع علامات الخطاب اللساني المشترك في سياق ثقافي أصيل، فيه أنتجت ومنه أخذت قيمتها الدلالية.

المعرفة¹ عمليات عقلية من إدراك وتعلّم وتفكير تجمع بين العالم والفرد، وهي أيضا وسائل المؤسسات لاكتشاف السلوك والفعل. وتقع المداخل المعرفية في النواحي العقلية المستثمرة في الفهم والاستيعاب، بوسائل التقابل والاتصال بين الذات والموضوع من حيث الإدراك. وهي الأدوات المسهمة في العملية الإدراكية الذهنية والتصورية.

¹ - ينظر: محمد أركون، القرآن من التفسير إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صلاح، دار الطليعة، 2005، ص 91.

في عملية الفهم وسيط لغوي¹ يؤدي دور المثير ليحرك غمضة التأويل والفهم بأكملها، باستثمار كل المعارف السابقة، سواء أكان الملفوظ استعارة أو كان ملفوظا عاديا؛ لأنّ حملته الدلالية تعيّن معنى صريحا طرفاه معنى قضوي وقوة إنجازية مرتبطة بأسلوب الكلام، كما تعيّن معنى ضمنيا وطرفاه معنى عرفي وآخر حوارى. وبين المعنيين الأصليين تقابل الصريح والضماني على أساس الإشارة والإيحاء كما يراه غرايس. إن البحث في البنية اللفظية (التركيبية) يسوق إلى تصور المحمول في البنية الذهنية كما يؤكد جون سورل²؛ ذلك أنّ البنى العقلية تتناسب والبنى اللغوية في تعيين المعاني الحرفية والمعاني السياقية، ولذلك تشتغل الدراسات على العناصر الإشارية والأوهام الممكنة والإشباع القصدي، بالنظر إلى المقاصد ونظرية أفعال الكلام التي تتعيّن معها المعاني التي هي ضروب مما في الأعيان وضروب مما في الأذهان على تناسب التوافق أو الاختلاف.

وعلى هذا الأساس تأتي دراسات أخرى لتكمل هذا التوجه من حيث البلاغة المعرفية مع مارك تورنر (Mark Turner) ونظرية المزج

¹- ينظر: صالح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 24 وما بعده.

²- ينظر. جون سورل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006، ص 132.

التصوري (blending theory) وقبلها نظرية الاستعارة التصورية¹. وفي الأولى مزج مفهومي لعمية بناء المعنى، على مستوى العرفنة واللاوعي، ثم على مستوى الوعي، بحيث يقع تمثيل العمليات المعرفية وفق منظور ثقافي عام، وهو معرفة ترسبت مع الزمن في الذهن، حتى يصبح ممكنا المسك بمعالم عالمنا وبنائه.

إنّ المزج بين عالمين في الاستعارة يقتضي في مرحلة أولى إسقاط أحدهما على الآخر، بإلحاق اللاحق بالسابق، فيقع مزج غائي تلقائي مكونا الاستعارة التصورية بتعيين المعاني الجديدة سواء أتمّ الاشتغال على المشابهة أو على المرجعية أو على المعارف في صورتها القديمة المكتسبة أو في صورتها الجديدة الحادثة.

على هذا؛ فإنّ الحاصل رؤية معرفية تجري على البلاغة والشعر والقراءة بما يقتضي وجود نقد معرفي يواكب هذا المد². وفي جميع الحالات فإنّ مدار البحث قائم على اللسانيات المعرفية في صورة علم الدلالة المعرفي/ التصوري من حيث إنتاج الكلام وفهمه وإدراكه وسيجري

¹- ينظر: بيتر ستوكويل، نحو لسانيات معرفية نقدية، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، تر احمد الملاح، طرابلس، لبنان، العدد 44، 2018، ص 28 وما بعدها. المترجم استاذ بجامعة القاضي عياض مراكش المغرب، ينشط بالكلية المتعددة التخصصات بأسفي، المغرب.

²- ينظر: بيتر ستوكويل، مقدمة في النقد المعرفي، تر سلمى سليمان ، دار النشر العلمي ومطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ ص 2. وينظر

Mickael Short, cognitive poetics and texture a cognitive aesthetics of reading.

وكلها تقتضي بحثا مستقلا ومفردا

العمل على مدارين؛ أولهما مدار الحدود والمفاهيم، وفيه اللسانيات والعلوم المعرفية، ثم اللسانيات وعلم الاجتماع والتأثير الطبقي والجغرافي أداءً على الفهم والإدراك والتصور. والثاني مدار المسألة والاستقصاء، وهو مخصص للدلالة التصورية في المدرسة الأمريكية.

أولاً - مدار الحدود والمفاهيم:

1 - اللسانيات والعلوم المعرفية:

في هذا المدار من الضروري تعيين حدود مهمة كحد العلوم المعرفية واللسانيات المعرفية، لنرصد في مدار آخر ترابطها بالعلوم والتخصصات البيئية وتداخلاتها، قبل الولوج في المدار الأخير المتعلق بالاشتغال مادةً ومقاربات. تُشكّل العلوم المعرفية مجالاً تتداخل فيه العلوم والمعارف، وتهدف إلى فهم الأنظمة الذهنية التي هي الفكر والذكاء والوعي. كيف يشغل العقل البشري وهو ينتج الخطابات؟.

وتلتقي في العلوم المعرفية معارف مختلفة كعلم النفس اللغوي والفلسفة والعلوم العصبية والإعلام الآلي والتعلم والانتباه والبرهان والذاكرة والذكاء¹. وتشغل اللسانيات المعرفية على ثلاثة مجالات رئيسية:

¹-G.Lakoff, women, fire and dangerous things, what categories reveal about the mind, university of Chicago press, Chicago, U S A , 1987, Pxi.

- علم الدلالة المعرفي الذي يركز على الدلالة المعجمية.
- المقاربات المعرفية للنحو ممثلة في التركيب وعلم الصرف.
- علم الأصوات المعرفي.

لا شك في وجود معارف أخرى متصلة كالنحو البنائي والاستعارات ومفاهيمها، والفضاءات الذهنية، ونظريات التأويل والنسبية اللسانية، ونماذج الاستعارات المحوسبة، والبحث في علم النفس اللغوي. ولذلك تسعى اللسانيات المعرفية ومن ورائها اللسانيون المعرفيون إلى تجميع كل الاكتشافات في كل واحد منسجم، ربما بفعل عدم استقرار مصطلح اللسانيات المعرفية بشكل نهائي؛ فهو حقل جديد نسبي، ويتداخل مع علوم ومعارف أخرى كثيرة. ولذلك تأتي أعمال راي جاكندوف (R.Jakendoff) تلميذ نعوم تشومسكي (N.Chomsky) القائمة على نقد مكتسبات النحو التوليدي التحويلي في صورة البحث المتكامل عن الدلالة في الإنتاج اللساني من منظور سليم منهجا علميا، وتفسيرا تقنيا، ونظرية تنحو إلى التكامل.

يبدو جاكندوف واقعا في تفسير الظواهر اللسانية من وجهة نظر علم النفس اللغوي وإدخال البنيات والصور النمذجة (صور نموذجية اجتماعيا في التداول والاستعمال) بحث عن القصد المشترك في العالم المشترك أو في

العالم الخاص¹. إلى الآن فإن الإنتاج اللساني له صلة وطيدة بعلم النفس اللغوي الذي يسعى إلى وضع توازن معقول بين علم النفس وبين الكلام الذي ينتجه لأفراد؛ فقد تمّ وضع معادلات في هذا المسار على النحو الآتي²:

(مر1)/ النحو الذهني = الكفاءة اللسانية = النحو اللساني

(مر2)/ النحو اللساني 'مبادئ الأداء الفردي' = السلوك

الشفوي/ اللساني

بما يحدد الحال العامة لإنتاجية الكلام اللساني داخل إطار الحقيقة النفسية. وقد تعيّن علم النفس اللغوي دراسة الأنظمة المعرفية المشتغلة على معالجة وإنتاج الكلام، بما يجعله يستعين باللسانيات (علوم اللسان) وعلم الأعصاب وعلم الأعصاب البيولوجي وعلم النفس والعلوم المعرفية³. ولأن الكلام نظام تواصل مشفوع بدلالة؛ فإنه يستعمل

¹ - في الخطابات المنتجة بحضور المتخاطبين الأمر يبدو لي فيه الكثير من الفوائد التي تحقق الهدف الذي ترومه اللسانيات المعرفية ولكن بمجرد العودة إلى النصوص بغياب مؤلفيها تعود مشاكل الفهم كلها إلى صورة ما تحدثنا عنه في قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص 42-81، وقضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص 33-58.

² - Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage., in l'année psychologique, p u f, 1972, vol. 72, n2, p487. وهذا المقال منشور في موقع:

[http : www.persée.fr/doc/psy_0003_5033_1972_num72_2_27960.](http://www.persée.fr/doc/psy_0003_5033_1972_num72_2_27960)

³ - لاحظ في كل مرة تبدو الحدود غير واضحة بين المعارف والعلوم المعرفية؛ لأن المسألة شراكة بين تخصصات تدقش موضوعات بعينها. فعلم النفس المعرفي جميع العمليات التي يتم من خلالها نقل

أصواتا ورموزا تسمح بالتعبير عن المشاعر والأفكار والتجارب كما تسمح بالتعبير عن الفكر، ولذلك يكون للعامل النفسي وجود في هذه المجالات التي لا يستقل فيها لفعل عن غيره في سلوكات مركبة تجمع بين التلفظ بوصفه فعلا لسانيا وبين الشعور بوصفه فعلا نفسيا. إن علم اللغة النفسي يشغل على ثلاثة محاور رئيسة: اكتساب اللغة، وفهمها مكتوبة ومنطوقة، أصواتا ورموزا، ثم الإنتاج الخطابي على مدارات الاكتساب والاشتغال والتطور.

إنّ التواصل بواسطة نظام من العلامات للتعبير عن عوالم خاصة أو إدراكات بذاتها يسمح بإنتاج جمل جديدة لتشكل كلاما من مركبات مختلفة تترابط فيما بينها مشكلة تلك الجمل ، التي تشكل بدورها حكاية أو خبرا متسقا اتسق الجمل وتجاور الكلمات التي تبنيها وتصفها داخل بنية

المدخلات الحسية وتحويلها واختصارها وتوضيحها وتخزينها واستعادتها واستعمالها، الزغول والزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت ط، ص 17. وقد نسب هذا التعريف إلى نيسر (Neisser)، ومفاد لتعريف حصول الفرد على المعلومات وتحويلها إلى معرفة، تنظر ص 19 منه. في هذا البحث حصر لخاصية الإدراك الذهني التصوري جمع بين علم النفس المعرفي واللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي فبالنظر إلى العلوم المعرفية من وجهة نظر اكتساب اللغة وتعلّمها؛ فإنّ هذا يتقاطع مع علم النفس التربوي وعلم النفس اللغوي واللسانيات التطبيقية واللسانيات الحاسوبية (حوسبة اللغة) بما يجعل كلّ هذه التخصصات وموضوعاتها متداخلة أو متقاطعة من جهة تعلقها بالاكتساب والتعلّم وطرقهما وشرح كفاءات ذلك كلّ. وهو ما فيه تأسيس بالضرورة للتخصصات البينية التي تجمع بينها جميعا موضوعات بذاتها تجد لها وجودا في كلّ تخصص. بمعنى يمكن مناقشة موضوعات مشتركة بين تخصصات مختلفة متنوعة أو تخصصات متشابهة متقاربة أو متكاملة.

ما. ولأنّ في الموضوع هذا المد من العوامل النفسية في إنتاج الكلام؛ فإنه من الضروري أن يكون لكل ذلك علاقة باللسانيات المعرفية وعلم النفس، وهما جزءان مهمان من العلوم المعرفية، وليسا هما فقط كما سنرى.

2- اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي: المؤثران الطبقي والجغرافي

علم الاجتماع اللغوي¹ فرع من اللسانيات يسعى إلى تصور الإنتاج اللساني عند المتكلمين، وهو متعلّق بالوسائط الاجتماعية. وإن كان بعضهم يفرّق بين "الملفوظات الاجتماعية" التي ترنو إلى معرفة أكثر عمقا للمجتمع من خلال اللغة، عن علم الاجتماع اللغوي الذي يسعى إلى تحقيق علاقة بين الانتماء الاجتماعي للفرد واستعمالاته اللسانية، كما أن بعضهم الآخر يجمع بينهما بمفهوم واحد. وعلى العموم؛ فإنّ علم الاجتماع اللغوي يستبعد أن يكون موضوعه اللغة بالمعنى السوسيوي المناقش بوصفه أنظمة من العلامات. كما يستبعد أن يكون موضوعه الكفاءة بالمعنى التشومسكي الموصوف بنظام من القواعد، حيث يتدخل

¹ - Davy Bigot et Robert. Paper, la sociolinguistique en résumé, uoh.concordia.ca, sociolinguistique

في هذا العمل حديث مطول عن أعمال فاصولد (Fasold) 1987 و 1990، وبايون (Bayon) ومارسيليزي وغاردن (Marcellisi et Gardin) 1974، وهامس (Hymes) 1972. وكذا أعمال ويليام لابوف (W Labov)، وفيه أيضا حديث عن اللسانيات الاجتماعية والتنوع اللغوي اللساني.

مفهوم الكفاءة التواصلية عند هايمس (Hymes) ليقضي بتعدي معرفة اللغة إلى جودة استخدامها في سياقها الاجتماعي بالدرجة الأولى والقصوى. ولذلك يكون موضوع علم الاجتماع اللغوي دراسة اللسان/الكلام في سياقه السوسيو-ثقافي، بما يحقق المعرفة الدلالية التي تجمع بين قطبي الكلام : الشكل الظاهر المسمى البنية اللسانية والمضمون المضمّر المسمى المعنى القصدي، وتعمّد هذه التسمية بعيدا عن البنية السطحية والبنية العميقة اللتين تمت مناقشتهم في مستوى آخر، وهما لا يجيبان عن سؤال المعنى المتعلق بالإنتاج والفهم والإدراك.

من هنا فإنّ تناول الاجتماعي للظاهرة يشغل على محورين: الأول مقارنة تعطي الأهمية إلى الاجتماعي على حساب اللساني، وتدخل كل معطيات التنظيم الاجتماعي بالضرورة في التحليل اللساني، ليكون الهدف تحديد معالم النظرية اللغوية في سياقها السوسيو-ثقافي من أجل فهم الحياة الاجتماعية. والثاني مقارنة تعتمد حلّ المشاكل اللسانية في الواجهة الاجتماعية فقط دون غيرها . ومهما يكن من أمر فإننا أمام صورتين تتحقّق من خلالهما أهمية الدراسات اللسانية الاجتماعية؛ فمن جهة أولى تحوّلت الرؤية باتجاه فهم وإدراك واستيعاب الملفوظات في سياقاتها الاجتماعية، لتكون معانيها جامعة بين التلفظ الفردي والتأثير الاجتماعي. ومن جهة ثانية، تحوّلت الدراسة من الطبيعة الأفقية جغرافيا (لسانيات جغرافية) إلى الطبيعة العمودية اجتماعيا (لسانيات اجتماعية)، تتعدى

الظواهر الصوتية واللهجية إلى المضامين الدلالية التي يحدثها التواصل¹ بوصفه دينامية تحرك فعل الكلام عند المتكلمين، وتوجب التفاعل معه عند المتلقين.

بهذا المعنى فإننا نجد أنفسنا أمام الظاهرة الخطائية وإنتاج الكلام وفق منظومات وقواعد مكتسبة أو فطرية، تتطلب معرفة من وجهات نظر مختلفة تسعى إلى تحقيق الهدف الأساس من كلّ عملية تواصل تقوم على هدف خطابي ورسالة ما، مع اعتبار حدّي الوضوح والغموض والتركيب بينهما؛ فقد يكون الغموض رساليا والوضوح نصيا ليكون الهدف لسانيا لغويا خالصا، وقد يكون الوضوح رساليا والغموض نصيا ليكون الهدف تواصليا مخصص الوجهة، وقد يكون لوضوح نصيا والوضوح رساليا ليكون الهدف تواصليا عاما لا تخصيص فيه، وقد يكون الغموض رساليا والغموض نصيا ليكون الهدف قائما بذاته بوصفه تشفيرا إراديا مقصودا

¹ - إن التغير المعجمي والتغير النحوي والتغيرات الصوتية تؤسس قطعاً للتنوع اللساني الذي سينظر في الظاهرة للغوية من وجهة نظر اجتماعية أسلوبية بما يبيح مشروعية التساؤل: هل هناك علاقة بين البنيات التركيبية المستخدمة ومعاني أخرى غير ما تعودته المجموعة البشرية الأصلية؟ في كتاب "قراءات في النص ومناهج التأويل" لأحمد مداس، بعض إجابة عن هذا التساؤل، تنظر ص 47 49 منه، وفيه حديث مهم لدى بيار بورديو (P Bourdieu) في *langage et pouvoir* (la métaphore vive) (P. Ricoeur) وبول ريكور (symbolique).

يحقق هدفه في مستوى ما قد يُدرَك وقد لا يُدرَك، فهو تواصل مخصوص وضيّق¹.

وبهذا المعنى أيضا نجد أنفسنا أمام لتحوّلات الجذرية للدرس اللساني، حيث يجد المنطق ذاته؛ فمن اللسانيات العامة لدى سوسير إلى لسانيات الجملة ومكتسبات التركيب عند تشومسكي، إلى اللسانيات النصية لدى هاريس، ثم اللسانيات الحاسوبية فاللسانيات المعرفية، وصولا إلى الدلالة لمعرفة والدلالة التصورية، و بين ذلك مقاطع بحثية هامة يضيق المجال لذكرها والاستفاضة فيها. ولكن المهم في هذه التحوّلات هو صورة الانتقال التي تحقق هدفا جديدا على أساس البحث في المعنى والدلالة، وتدخل عدد من العوامل تحدّد المرجع الذي يتكئ عليه الإدراك في صورته الحسية والذهنية. إن العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية والإيديولوجية تشكّل وجودا معرفيًا يمارس سلطته على المتكلم عند إنتاج الكلام، كما يمارس سلطته على المتلقي وهو يحاول فهمه-أي الكلام- في صورته اللفظية الخطائية والنصية الكتابية، وإن كان في الحال الثانية-أي التلقي الكتابي- أكثر مشقّة وأعلى دقّة بل أوسع مدّا وجبروتا، حيث تبقى صورة أغلب الظن تحتاج إلى ما يرفعها، وتصنع

¹- ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، ص 43-79 في حديثه عن حركة الدوال

المفتوحة في تفكيكية دريدا وتغيّر معنى الكلمة في الرسالة لدى بيار جيرو (P.Giraud).

تشكيلا ضبايا لا ينقشع، وتجعل من المعنى مضمونا يتمنع حيناً ويصعب حيناً، بل يستحيل تحصيله في أحيان كثيرة.

وقد تعيّن بهذا الوصف أن تشابكت المعارف وتداخلت وصار بعضها عصب بعضها الآخر، وتنوعت من حيث أنها تشابكت، فبدت متعالقة متماهية كما بدت متباعدة مختلفة، وللرائي ثاقب النظر أن يتلمّس تماهية من تباعدها، كما يحدّد تعالقها من اختلافها، وكيف له ذلك وبم يكون؟. إنّ التحوّل الحاصل في البحث عن الدلالة والمضامين الذي تعدّى البنى اللسانية وأشكالها هو الذي جعل البحث اللساني يضيء بل يشتعل لها جديداً متجدّداً، حافظ من حيث عنى أو لم يعن على الجوانب اللسانية المتلفظ بها، وراح يؤسس للوجود المضموني الدلالي، متخطياً حدود الوصف والتفسير إلى تقنين قواعد الفهم والإدراك، أو هكذا بدا لي؟

هنا لا شك في ظهور التخصصات الينية والعلوم المعرفية المتداخلة والدراسات الثقافية والانثروبولوجية التي لا تريد أن تنفصل على الأقل من جهة المتلقين الذين يجعلون الإدراك والفهم والاستيعاب أهدافاً وغايات، يتحقق معها التواصل المثمر والتفاعل الموجب الذي يعطي للحياة رونقها على أساس التواضع اللساني والاستعمال الفردي في التداول. وقد كان الدرس اللساني قبل هذا يأخذ صورة التحليل الواصف الذي قد يبلغ درجة التفسير إن تيسّر، وهو ما لم ينجح في المدّ اللساني وانطلق إلى المدّ البنيوي فالسيمياي فالأسلوبي، ثم التداولي على أساس

المبدئ اللسانية التي بيّن جاكندوف أفول نجمها في تسعينيات القرن العشرين، حتى أنّ بعض النظريات النقدية التي تستند إلى العروة اللسانية تخطت اللسانيات في صورتها اللفظية السطحية إلى المحمولات الدلالية باعتماد التجربة الفردية وترك القياس والتجريب والنظر، فكانت مرحلة ما بعد الحداثة وما أحدثته من ثورة معرفية سرت على العلوم قاطبة منتجة منظورا تكامليا يؤدي فيه التخصص الدقيق دور وجهة النظر والمنظور المتخصص المنفتح على باقي التخصصات. ولا ينكر بحاج صراع المدارس اللسانية والفلسفية والنقدية؛ لأنها ببساطة تستند إلى منتجات الدرس اللساني ونظرياته التي تحقّق أو تعد بتحقيق غاية تكون هدفا أساسا في مرحلة ما من مراحل تطوّر العلوم.

إنّ موضوعات النحو الذهني والكفاءة اللسانية والسلوك اللساني الفردي والحقيقة النفسية للكلام والتلفظ المتحقّقة في السياق الاجتماعي¹، وتأثير المجتمع على اللسان وعلى الكلام وعلى الفرد الفاعل فيهما، وقيّم التواصل والتفاعل واكتساب اللغة ونظامها التعبيري الأدائي، والفهم والإدراك والإنتاج الخطابي، والدلالة المعرفية والمقاربات المعرفية للنحو وأنظمة الكلام وقواعده، والتفكير والأفكار والذكاء والوعي والفلسفة والذكاء الاصطناعي والذاكرة، كلّها من مباحث

¹ - R.Jackendoff, Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002,p34. متحدثا عن اللغة في سياقها الاجتماعي.

اللسانيات المعرفية في تعالقيها بعلم النفس اللغوي وعلم النفس المعرفي¹ واللسانيات الاجتماعية². وهو ما يعطي لهذا المدار سبب وجوده في هذا المقام. وهي الموضوعات التي تجدها وجودا بالقوة في مختلف الاختصاصات المذكورة على سبيل التدخل والتواشج؛ ولذلك ما في العلوم المعرفية هو مادة علوم أخرى لأنها منها وتشغل على خلفاتها وافتراضاتها المعرفية من حيث الاكتساب والاشتغال والتطور نظماً وتركيباً ودلالةً ومعرفةً.

¹ - ينظر: دافع النصير الزغول وعماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، ص 18 22 وقد جاء فيه أن موضوعات علم النفس المعرفي هي: الإدراك وعلوم الدماغ والانتباه والذاكرة وتمثيل المعرفة والتخيّل والتصور الذهني والنمو المعرفي وحل المشكلات والذكاء الطبيعي والذكاء الاصطناعي.

² - Davy bigot, op cit, les variations linguistiques (linguistique variationniste/ التغير والتنوع (اللساني: التغيرات المعجمية والنحوية والصوتية.

ثانيا- مدار المسألة والاستقصاء¹ :

يؤكد جاكندوف أن اللسانيات في تسعينيات القرن العشرين صارت على الهامش بعيدة عن النشاط الذي يقع في العلوم المعرفية، وقد كان النحو التوليدي مثلاً مرتبطاً بالبيولوجيا وعلم النفس بوصفها حقولاً متجاوزة معرفياً يأخذ منها التركيب-عصب الدرس اللساني يومئذ- القيمة العلمية تأسيساً للنظرية اللغوية ضمن إطار العلوم المعرفية² أو التخصصات البيئية بما يؤدي انفتاحاً معرفياً على مجمل العلوم؛ ففي حال موضوعنا فإن إنتاج خطاب ما، يعين بالضرورة صورة انتماء ما، مما يجعل محمول الخطاب -وهو نسق لغوي- معرفةً تتصل بالدماغ البشري (القلب

¹ - قدّم محمد غاليم ومصطفى الحداد قراءات في مشروع جاكندوف؛ الأولى دراسة في مفاهيم هندسة التوازي والبنى التركيبية والدلالية والذهنية، بعنوان: "بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي" نشره في موقع: http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm . والثاني ترجمة بعنوان: "جاكندوف ضد تشومسكي"، من كتابه أسس اللغة وخصر الصفحات 26 و 651-707 بالترجمة،

ونشرها على موقعه: http://mustafahaddad.blogspot.com/2007_05_blog-post_15.html

قد استفدت من هذين العملين كثيراً. للإشارة فقد كتب محمد غاليم المعنى والتوافق (1999) والنظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة (2007)، وغيرها.

² -R.Jackendoff, foundations, p3

وقد ناقش تعقيد التركيب والبنى التركيبية ومركزية التركيب (syntactocentrism) في ص 107، حيث كان التأسيس اللساني يقوم على التوليد قبل تحويله إلى الرؤية الجديدة وفق منظور اللغة ظاهرة ذهنية كما في ص 19 منه، مما أوجب الحاجة إلى تأسيس نحو ذهني. تنظر ص 38 منه. وينظر أيضاً مقدمة

G.Lakoff, women, fire and dangerous things, p xii-xiii.

الذهني) في صورته الشعورية استبطانا، وهو الممتنع عن البلوغ إليه بالكشف من حيث كيفية البناء النحوي (نظام اللغة)¹، ومن حيث المضمون القصدي استظهارا، ذلك أنّ الخطاب نظام لغوي يحمل معرفة، ويتقلب بين العموم والخصوص. فقد اكتسب المخاطب نظام الكلام وقواعده من وجوده الاجتماعي، وأدرك طبيعة التأليف وحقيقة الإخبار بالممارسة، وصنّف على اعتبار قدرات الذهن على التصوّر والإدراك والتواضع²، وعلى هذا يكون الاستعمال اللغوي معرفة ذهنية قبلية تتحكم في وظيفة الإنتاج والإفهام معا. فإذا أخذنا هذا الاستعمال على أساس قواعد النحو اللاشعورية؛ فإنّ الإنتاج والفهم خاضعين للقواعد ذاتها. إنّ الاكتساب والإنتاج هنا يقومان على تداخل معرفي مع نظريات علم النفس وفلسفة اللغة كما هو المكتسب اللساني عند تشومسكي وجاكندوف وغيرهما، وهو ما يسمح بالحديث عن معرفة متنوعة في باب الممارسة اللغوية³. والأمر معقود على إنجاز من غير تفكير وأداء لرؤية ما ذات معنى ومغزى. وليس الإشكال في الأداء على الإطلاق منظوقا

¹ علم الدلالة ضد النحر التوليدي R.Jackendoff, foundations, p26.

² علم الدلالة مؤسسة ذهنية R.Jackendoff, foundations, p267.

³ يناقش جاكندوف هذه المسألة من باب مقارنة لغة الأطفال في مقابل لغة الكبار، بما يسميه 'مفارقة اكتساب اللغة'، لينتهي إلى أنّ الموضوع مرتبط بطبيعة الاستعمال والاستعداد الفطري للفرد لا للتعلم النحوي والمعرفة اللغوية بالاكتساب التعليمي.. يمكن الحديث عن تعلم ذاتي داخل المجتمع ورققة المجموعة البشرية الناطقة بلغة بذاتها. ينظر مقال محمد غاليم ومقال مصطفى الحداد الأليكترونيين. مرجعين سابقين.

ومكتوبا، ولكن الإشكال في الفهم والإدراك وتعيين المقاصد¹؛ فقد انتهى بحث البنى التركيبية عند تشومسكي عند عتبة البنية السطحية شكلا تعبيريا تقابلها البنية العميقة دلالة مفهومية، ولكن الحاصل أن رؤيا المعنى لم تصدق؛ لأنّ البنية العميقة لم تعد وجهها وحيدا للمعنى، فقد يتعدّد، وقد يؤجل، وقد يُرفع أصلا ليغيب في أذهان المتلقين، وذلك في حال صورة الغموض على مستوى اللفظ أو على مستوى الرسالة أو على المستويين معا².

فنظرية الدلالة التوليدية أضفت تعدّدا للبنى العميقة في سعيها إلى الإمساك بالمعنى، وردّا على تأخير سوسير للبحث الدلالي في الدرس اللساني المعاصر على عكس ما رأى جاكندوف موافقا سوسير، فقد أدرك أنّ المعنى لا تحدّه حدود ولا قيود مضبوطة، وهو نقد صريح لنظرية الدلالة التوليدية التي رادها جورج لاکوف (G. Lakoff) وغيره، وهو ما جعل التوليد بوصفه بحثا في المعنى ضيق التناول لظهور التيارات المعرفية الأخرى التي تبحث فيه بعمق أكثر. وربما كان لعمليات الفصل بين العلوم

(المعنى المشترك) et p294 (مقاربات المعنى السياقية) R. Jackendoff, foundations, p280 -¹

² - يمثل مصطفى الحداد لذلك بـ قُتل زيد - قتل أحد زيدا. وأي ورده قطف خالد؟ - قطف خالد هذه الوردة. مثل هذا التقدير لا يشكل عبء على الفهم مطلقا، ولكن ماذا إذا جاء التركيب على غير هذا الوضوح. على أننا لا نحتاج مطلقا مثل هذا البيان واكتفاؤنا بالتركيب في صورته السطحية أبلغ بالحذف من الزيادة في التقدير. قد يساعد هذا التمثيل في تعلم اللغات الثانية لغبر الناطقين بها لكنه لا يفسر الظاهرة اللغوية ولا يجيب عن سؤال المعنى والدلالة.

أثر واضح في عدم بلورة رؤية أكثر اعتدالا في تعيين البنى المضمونية للتركيب والخطابات وإن كان ذلك لفعل هدفا قائما بذاته.

يقوم كل تركيب (جملة...) على ترتيب الكلمات ترتيبا نحويا صحيحا، وهو ما يتطلب نطقا صوتيا سليما يؤدي دور التناغم مع المحيط اللغوي، وتبقى الدلالة التي تعادل المعرفة في صورتها المضمونية معلقة إلى حين ظهور المساعد على الفهم ليتم الإدراك على أفضل الوجوه وأرقاها¹؛ وذلك لأنّ الدلالة تصوّر ذهني عند المتكلم، وهي تصوّر ذهني مفهومي عند المتلقي، وكلاهما معلقان بكفاءة هندسة التوازي². ويبدو لي هذا ما يجعل لتحليل الخطاب وجوده؛ ففي مرحلة أولى تتألف الكلمات لبناء بنيات تركيبية، وفي مرحلة ثانية تخضع البنيات لعدد من العمليات التركيبية، وفي مرحلة لاحقة، تُرسّ بعض البنيات إلى الواجهة الصوتية وتحوّل إلى متواليات منطوقة. ويُرسَل بعضها الآخر إلى الواجهة الدلالية ليتحوّل إلى متواليات مفهومية. تمثل هذه المراحل الهندسة المتوازية المتداخلة في آن واحد في صورها التركيبية والصوتية والدلالية على أساس نحو ضمني في الممارسة اللسانية (تداول واستعمال)، وهو المبدأ المؤسّس للنظام اللغوي. وقد بدا لي بهذا الشكل البنيوي المعلق دلالة يعطي مبررات

متحدثا عن صناعة المعنى وفق نماذج المقاربات المعرفية. وينظر أيضا: G Lakoff, op cit, p56.

مساعداً الفهم: أسماء) et p318 (إسهام موجّهات الإدراك) R.Jackendoff, foundations, p345 (الأعلام والحالات والأشياء المجردة)

² (هندسة التوازي) et p107 (كفاءة هندسة التوازي) R.Jackendoff, foundations, p196.

وجود وممارسة تحليل الخطاب، كما يعطي مبررات التحول من البنية اللسانية إلى البنى المضمونية التي تحمل في طياتها معارف مختلفة على مستويات متعددة؛ فالموضوع الأصيل بنية معرفية، ومنظوراته المتنوعة بنيات معرفية بنيوية، ومقرباته وآلياتها بنيات معرفية منهجية، سواء أكان الحديث عن التركيب أم كان عن النص والخطاب.

تؤدي المعارف والمعتقدات دورا موجّها في الفهم وسياق التواصل وتحصيل مقاصد المتخاطبين مشكّلة الأنساق الإدراكية التي تمكّن من رسم الخطط لتصورات منطقية هادفة تصلح للتواصل وتوجيه المقاصد. ولا يمكن لهذه الأنساق والتصورات أن تتفاعل تحقيقا للدلالات المضمونية إلا إذا أحدثت في الذوات العارفة شكلا من التصور العام والموحد للعالم، ويكون هذا التفاعل في البيان الذي ييسّر الفهم على أساس البنية الذهنية المشتركة للمتخاطبين، ولا شك في فردانية النظرية الدلالية النفسية لانتماء البنية التصورية إلى مستعمل اللغة إنتاجا، وهو ما قد ينفي الاشتراك فيها بين المتخاطبين¹ لتعارض الفهم مع الإنتاج، كما قد يكون القصد فرديا وهذا أمر طبيعي لأنّ القصد الجماعي معلوم بالضرورة، مما ينفي بطبيعة

¹ - G.Lakoff, op cit, p9

وفيه يؤكد اعتقاد كلّ الناس على أنهم يستعملون النظام المفاهيمي نفسه، وأن اعتقاد نظرية صحيحة للعالم وطريقة واحدة لفهم اعتقاد خاطيء. وهو ما يضع موضوع علاقة بين الحقيقة والمرجع على المحك؛ فالرموز تأخذ معانيها من علاقاتها بالأشياء في العالم الخارجي وقد ناقش هذه القضية جاكندوف في أسس اللغة، ص 294 من النسخة الأصلية باللغة الإنجليزية.

الحال وجود المعنى المشترك، ويثبت في المقابل وجود الهدف الخطابي الذي يحرك عمليتي التواصل والتفاعل معاً. ولو افترضنا ضرورة وجود معنى مشترك، وفرضنا وجوده على المتخاطبين، لكان النصر تحصيل حاصل، لا يقول إلا ما يقوله الافتراض المسبق والمشارك. وهذا في نظري محال، إلا أن يكون الخطاب قائماً على صورة لا تحتل غير ذاك الافتراض.

وبالعودة إلى رؤية المحاكاة: فإنّ مستعمل اللغة لا يعبر عن كيان ما لم يكن له تصوّر عن ذات الكيان¹، وهو بذلك ينحو أن يوصل ذاك التصرّو إلى غيره. إن العلاقة بين الدلالة الملفوظية وما تحيل عليه عند المتلقي هو ما يصنع الفارق في الإدراك الذهني²، ولا يبدو مباشراً سهل الإدراك إلا ما تحقّق في المستوى الأدنى للتجريد التواصلية، وكلّما زاد التجريد والكثافة زاد الغموض وانعدم الفهم بتلاشي الرسالة التواصلية وتلاشي وضوحها، وإن كان هناك شيء من الاشتراك في الممارسات الاجتماعية والثقافية فهو الحد الأدنى لكل توافق، ومنه ينبثق الفضاء التصوري بهندسة مشتركة أساسها الاستعمال اللغوي المشترك لإيصال المعاني (الرسائل) باشتراك في المقاصد لأجل تواصل مثمر يحقق الهدف منه؛ لأنّ هذا التأكيد يقع على

¹ ينظر: جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، تر. عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريم، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، 2010، ص 77 في حديثه عن الإفادة والإحالة. وأصل الكتاب:

Semantics and cognition , Cambridge, Massachusetts, U S A, 1983

² ينظر: بول ريكور والمحاكاة الثلاثية، وجاك دريدا والتصور والتصوير والقراءة. ينظر أحمد

مداس ، قضايا في تحليل الخطاب، ص 33-56

الوسيلة اللغوية ممثلةً في التراكيب والبنى النظامية التركيبية على أن يكون فيها المؤدى الرسالي، ويعتقد المرسل إمكانية إدراكه عند المرسل إليه على أساس مبدأ التعاون والاشتراك في المقاصد كما جاءت به الدراسات التداولية.

وأما ما يخصّ المحمولات والمضامين فإنّ كلّ تباعد في البنى التصورية بين المتخاطبين أو بين الخطاب وقرئه يسبّب اختلافاً في امتلاك المعلومات واختلافاً في التجارب وصراعا على مستوى الأهداف والغايات، وهو ما يقع موقع المخالف لمبدأ التعاون بوجود التصور الخاص الذي يجابه التصور العام المشترك، وهو المصطلح عليه بالقصد المشترك وفق منطق العلاقات التعويّنية التي تسعى إلى تقريب لفهم بأكثر الوسائل تدليلاً على البيان والوضوح. وكما سبق القول ليس الإشكال في المشترك من المقاصد ولا في مبدأ التعاون الظاهر، ولكن ماذا إذا غطّى الإبهام والغموض كل بيان وكلّ وضوح حتى يبدو الخطاب من غير محمول يحيل عليه؟ وبخاصة إذا تعلّق الأمر بغياب المتخاطبين وحضور الخطاب مواجهها القارئ؟

لا ننكر وجود تساؤلات مشروعة من قبيل الطابع الفردي للبنى التصورية وهو ما يضع التواصل أمام محكّ الكيفية؟ ثم ما يكون الحال عند رفع قواعد المحادثة وشروط النجاح كما هو عند التداوليين (غرايس وسورل)؟ ثم كيف لتصور خاص يبلوره تصوير خاص (محاكاة) أن تقع موقع القراءة السليمة عند من لم يتصور البنية التصورية إلا من خلال

المخاطب قراءة؟ وكيف للقصد الفردي أن يصبح قصداً مشتركاً بإجماع المجموعة البشرية الناطقة بلغة الخطاب محلّ التواصل؟. يبدو لي أنّ المشكلة في إنتاج الخطابات الفردية وتحولات دلالة الملفوظات في استخدامها الفردي لا في سكون اللغة المعجمي.

إنّ البنية التصورية جزء من الفكر وليست جزءاً من اللغة، وهو ما يتطلّب نحواً معرفياً ولسانيات حاسوبية وعلم نفس معرفي، وعلم اجتماع معرفي، ومعارف أخرى تشكل الهندسة المتوازية والمختلفة التي تصنع فرقاً في البنية التصورية للمتلقّي. مما يفرض بطبيعة الحال انفتاحاً معرفياً على حقول مختلفة تتجاوز النسق التركيبي والصوتي والنحوي والدلالي إلى الأنساق النفسية والاجتماعية والثقافية، فتترابط هذه المكونات بوصفها هندسة تقوم على التوازي والاختلاف معاً، كما تحافظ على استقلالها التركيبي والدلالي. إنّنا بصدد الحديث عن الحدود التي لا تتعيّن بتحديداتها لشدة تداخلها واقتراب مجالات اشتغالها من بعضها البعض. فهل يصدق قول القائل: "إن العلوم المعرفية كعلم النفس البشري والحيواني بفروعهما، والذكاء الاصطناعي وفلسفة الذهن، وفلسفة اللغة،... تفرض على اللسانيات باعتبارها علماً معرفياً أخذ نتائج هذا التطور بعين الاعتبار والاندماج بصورة طبيعية في البحث الساعي إلى بلورة ما أصبح يسمى اليوم نظرية صورية للمعرفة"¹.

¹ - محمد غليم، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm.

في كتابه "علم الدلالة والعرفانية" [Semantics and cognition]¹ ناقش جاكندوف إحدى عشر قضيةً مجزأةً على أربعة أجزاء جعل البنية الدلالية والبنية التصورية² موضع تساؤل في الفصل الأول منه، ليخلص في الفصل السادس إلى التسوية بينهما³ وبين الموضوعين مناقشات موسّعة للإفادة والإحالة وعلاقة العالم المشر إليه بالعالم المحال عليه⁴، ثم يتطرق إلى الأسس المعرفية لعلم الدلالة⁵، مسوّغا حديث النظم وبنياته التصورية والنظمية⁶ بوصفها حديثاً صريحاً عن معاني الكلم، ويجعل من العلاقات الإسنادية⁷ ونظرية التمثيل⁸ بخصائص مغزى علم الدلالة ومغزى المعرفية وسياقات الاعتقاد موضوعات مهمة في عمليات الإنتاج والفهم والتصور⁹.

¹ - تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريم، دار سيناترا، المركز القومي للترجمة، تونس، 2010. وقد حافظت على لفظ العرفانية في هذا الكتاب وفي الاقتباس منه احتراماً لاختيار الباحث ووقفاً على الأمانة العلمية.

² - ينظر: السابق، ص 37.

³ - ينظر: السابق، ص 191.

⁴ - ينظر: السابق، ص 77.

⁵ - ينظر: السابق، ص 99.

⁶ - ينظر: السابق، ص 129.

⁷ - ينظر: السابق، ص 335.

⁸ - ينظر: السابق، ص 373.

⁹ في الحقيقة صدر المترجم للكتاب بسيرة علمية وافية في نظري تجعل الحديث عن أعمال جاكندوف في هذا المقام تكرار يسبب النفور، ولذلك يحسن الرجوع إليه، كما يحسن الرجوع إلى

في الحقيقة ظهر اهتمام فوكونييه (Fauconnier.G) بالفضاءات الذهنية¹ مبكراً. إنتاجاً للتلفظ والكلام. ثم جاء عمل بينكر (Pinker.S) القائم على قابلية القراءة المقترنة بالمعرفة (العرفانية) من خلال اكتساب البنيات الحجاجية²، وقد سبقهما رأي جاكندوف في كتابه السابق علم الدلالة والعرفانية³ وهو يؤسس للانفصال السلس عن النظرية التوليدية بربطه المباشر بين الدلالة والمعرفة حيث توصل إلى بنيات علم الدلالة (البنيات الدلالية)، وهي البنيات التي لم تلق الاهتمام الخالص؛ إذ كان التركيب هو مدار العملية التحليلية في نظريات اللغة، فتعيّن عنده البحث في الذهن ولبنات والتصورات الدلالية والذهنية بحثاً عن المعنى والدلالة والفهم والتصور تبعاً للإنتاج الكلامي وفعل التلفظ⁴. ثم راح يبحث عن دور اللسانيات في العلوم المعرفية⁵ بعد حدوث التحوّل فعلياً من البنى التركيبية إلى البنى الذهنية والتصورية، وهو ما صرّح به تالمى (Talmy.L) في بداية القرن الواحد والعشرين في "نحو علم دلالة معرفي"⁶.

ما كتبه محمد غاليم عنه وعن النظرية التصورية في: n9605ganem.net/algabriabed كما

فعل مصطفى الحداد في: mustafahaddad.blogspot.com/2007

¹ G. Fauconnier., espaces mentaux, minuit, Paris, 1984

² - S. Pinker , learnability and cognition, the acquisition of argument structure, Mit press, 1989.

³ R. Jackendoff, Semantics and cognition , Cambridge Massachusetts, 1983

⁴ - R. Jackendoff., semantic structures, Mit press, 1990.

⁵ R. Jackendoff., semantic the role of linguistics in cognitive science, the state of the art, the linguistic review.

⁶ S. Talmy, toward a cognitive semantics, Mit press, 2000

وبعده بعامين ألف جاكندوف أسس اللغة¹ مثبتا نظرية البنيات الذهنية والتصورية مع امتداد يطول الذهن والمعنى والنحو والتطور، ثم أردف عليها بالوعي والثقافة رابطا كل ذلك باللغة².

ما يهمنا هنا هو الوقوف على جملة من النقاط تبدو رئيسة:

الأسس المعرفية لعلم الدلالة بما يصنع التواشج بين علم الدلالة والعلوم المعرفية الميَّنة سلفا كعلم النفس المعرفي وعلم النفس ونظريات الدلالة المنطقية وعلم الاجتماع اللغوي وفلسفة اللغة وغيرها.

التحوّل من مركزيّة التركيب إلى مركزيّة الدلالة؛ بالنظر إلى كون التركيب والنظم فرعين من الدلالة وكلاهما داخل مجال في البنية اللغوية اكتسابا وفهما. وأن نظرية الدلالة التوليدية مع لاکوف (Lakoff) وبوسطال (Postal) وهو تيار منشق عن تشومسكي لم يحقق الهدف ممثلا في الدلالة والمعنى، وذلك باعتبار النظم ناتج عن الدلالة وليس العكس، وهو السبق الذي يبقي البحث مفتوحا؛ فمعنى الكلام وسيرورته التصورية فعل ذهني، وأما العلاقة بين المعنى والكون فتأتي في المقام الثاني، وهو الرأي السائد في النظرية الذهنية. وعكسه ما يتداوله فلاسفة اللغة من اعتبار المعنى قائما على أساس التماثل أو التضارب بين اللغة والكون وتأتي العمليات الذهنية في المقام الثاني. ومهما يكن من أمر فإن:

¹ - Jackendoff, R., Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002

² - R.Jackendoff, language, consciousness, culture essays on mental structures, Mit press, 2007

المعنى هو الهدف الغائب، تحصيلا وإدراكا ذهنيا، وتفسيرا وآلية اشتغال بين المتخاطبين تلفظا وملفوظا، وإن كان في الفهم أشدّ وقعا منه في الإنتاج.

- علم الدلالة التأويلي وعلم الدلالة التصوري في مقابل علم الدلالة التوليدي، وإن كانا التياران يلتقيان في نظرية الدلالة المستبطنة؛ فالنظم أساس النظام اللغوي خطأ في فكر جاكندوف، لأنّ الحقيقة عنده أن الذهن هو الأساس، وهذه هي الحقيقة الجديدة التي يطرحها بديلا في الدرس اللساني من منظور العلوم المعرفية.

هندسة التوازي (parallel architecture): وتقوم على استقلال العمليات الذهنية وفعل التلفظ من حيث النظم والتركيب، والفنولوجيا صوتيا، والدلالة معنى وقصدا منفردا أو مشتركا، ولكنها تتداخل وتتفاعل معا في عمل معقد بخاصيتي الاستقلال الذاتي لكل مركب، والتداخل والتفاعل مع بعضها البعض لتحدث الأثر إنتاجا وفهما وتصورا. إنّ الدلالة هي المضمّن في العلوم المعرفية بعد أن كانت مضمّنة في اللسانيات، وربما هو التضمين المخالف الذي جعل اللسانيات جزءا من العلوم المعرفية.

- ظهور ثنائية البنية السطحية/البنية العميقة في حاجة إلى العلاقة مع الكون، لاشتغال التصوّر على هذه الصورة بالمقاصد وسياقات الاعتقاد والإحالية والمشار إليه في مقابل المحال عليه، وكذا الاشتغال المتداخل حيناً

والمستقل حيناً آخر لنظريات الدلالة الاستبطانية (internalist semantic theory) والدلالة الاستظهارية (externalist semantic theory)، من منظوري علم الدلالة التأويلي (interpretative semantics) وعلم الدلالة التوليدي (generative semantics)، وعلم الدلالة الذهني والتصوري¹ على أساس النظرية الذهنية (mentalism) التي أسست للنظرية المعرفية.

يبقى سؤال كفاءات الاشتغال مطروحا: للإجابة عن هذا السؤال يقترح علماء النفس اللغويون² كفاءة اشتغال تستند إلى مكتسبات النحو التوليدي بتشكيل رباعي؛ ففي التشكيل الأول تحدث تحولات ضرورية داخل البنى النحوية التركيبية تدور حول الجملة النواة، وتتشق في الاستعمال بتحويلات أخرى اختيارية تعطي البنى السطحية وهذا على المحور العمودي، لأنها على المحور الأفقي يتمحور المركب الدلالي (composante sémantique) بفعل التدليل (signification)، ليقابل المركب الفونولوجي (composante phonologique) وما يؤديه من تسلسل صوتي (chaîne acoustique) [الشكل 1 وتحولاته]. وفي التحوّل الموالي يتدخل المعجم ليشكل البنية العميقة بدل الجملة النواة وتبقى التحويلات كما في التشكيل السابق، ليكون في التحوّل الثالث الشك في إمكانية تحصيل

¹ - فيه حديث عن علم الدلالة المفهومي (intentional semantics)، وآخر عن علم الدلالة الامتدادي (tentional semantics). حافظت هنا على الملقوظ باللغة الإنجليزية كما ورد في النص الأصلي.

² - Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage, p490 المقابل باللغة الفرنسية كما

في النص الأصلي

محتوى المركب الدلالي. وفي آخر التحوّلات تأتي مدخلات المعجم لتجمع بين المركب الدلالي والبنى السطحية في صورة المركب الفونولوجي المؤدي إلى التسلسل الصوتي. وفي هذا الطرح تعقيد مركب للتراكيب وصعوبة في الأداء، وتحصيل لكيفية؛ إذ الظاهر من العملية المركبة تدخل المركبات النحوية والدلالية والصوتية والمعجمية مع الجملة النواة التي يصعب تحديدها أصلاً. والبنى العميقة والبنى السطحية في العملية إجمالاً. وقد قدّم هذا التيار نموذجاً للبحث عن المعلومات في الذاكرة بنية الفهم والتحديد الدلالي¹ باقتراح التأويل الدلالي للجملة، يقوم على مسح المركبات المرتبط بسجل الدخول السريع.

كما اقترح جاكندوف رداً على ما سبق -فيما بدا لي- سلسلة الترتيب في علم الدلالة التوليدي: الأبنية الدلالية القائمة على قواعد سلامة التكوين الدلالي، تتناسب والأبنية النظامية وفق قواعد سلامة التكوين النظامي باستخدام مكتسبات المعجم مما يؤدي إلى الصورة الفونولوجية وتظهر التمثيل الصوتي² ممثلاً في التركيب استعمالاً وأداءً. [الشكل 2]. وبغض النظر على منطقية التفسير؛ فإنّ هذا التفسير على ما هو عليه من ترتيب لا يجب عن سؤال المعنى والدلالة بشكل يجعله مرفوعاً. فهل الهدف هو تفسير العملية أم إيجاد سبل البحث الكفيلة بتحقيق المعنى؟ ولهذا يقترح الذهنيون النموذج الأوسط على فكر نظرية

¹ - rb d,p 504. Modèle de Wilkes et Kennedy, 1969.

² علم الدلالة والعرفانية، ص 56.

التطور: الأبنية التصورية على خلفية قواعد سلامة التكوين التصورية من منظور النظام الحركي والنظام السمعي ووسائل الإدراك الذهني والحسي، لتحقيق -تداول واستعمالا للنشاط اللغوي- الأبنية الدلالية وفق قواعد الاستدلال اللغوي التي تتناسب والأبنية النظامية بقواعد سلامة التكوين النظامي باستخدام مكتسبات وقدرات المعجم لتظهر الصورة الفونولوجية للأبنية النظامية تمثيلا صوتيا. وتكون العملية في صورتها المركبة مشكلةً للنظام اللغوي¹ [الشكل 3]. ثم تأتي الصورة المتطورة لهذا النظام مختزلةً في صورة² [الشكل 4]: فمن النظام البصري والحركي ووسائل الإدراك تأتي الأبنية التصورية وفق قواعد سلامة التكوين التصورية مشفوعة بقواعد الاستدلال التداولية التي تتناسب والأبنية النظامية وفق قواعد سلامة التكوين النظامي بما يكفله المعجم، ليظهر التمثيل الصوتي فونولوجيا، معينا صورةً ما. في هذا التمثيل والتشكيل على اختلاف مراحله يبقى البناء النظامي أساسا في التحليل، ومنه يكون البحث في الأبنية التصورية والذهنية التي يفترض أنها سابقة للإنتاج الكلامي، ويطرح الوضع مشكلة الحضور والغياب بحدّة عند التعامل مع الملفوظات سمعا في مقابل الأبنية المخطوطة كتابةً، وكلها مظاهر تواصلية في نهاية المطاف. وهذا وجه فيه النشاط الكلامي كيان مستقل.

¹ - ينظر السابق، ص 74

² - ينظر السابق، ص 75.

الوجه الثاني إعادة الاعتبار للمؤلف -وهو كيان مستقل أيضا-؛ فقد كان التحوّل خطيا من المؤلف إلى النص إلى القارئ وفق منظورات التطور التحقيقي لما قبل الحداثة ومرحلة الحداثة وما بعد الحداثة. وليس الحديث هنا من باب الالتباس، ولكنه المنطق الذي يفرض نفسه ولو بالسؤال: فاللسانيات اشتغلت على التركيب والخطاب بوصفهما صورتين الظاهرة اللغوية، واشتغلت العلوم المعرفية وعلم النفس المعرفي على الدلالة والتصور، بحثا عن النسق التصوري والذهني، ولكن:

- المؤلف الذي ألف التركيب ونظمه كما النص والخطاب غائب وإن كان هذا اعتقادا في مرحلة الحداثة، والحاضر هو النص / الخطاب الذي يقوم مقام صاحبه، والحاضر الآخر القارئ -وهو كيان مستقل آخر-؛ من هنا يكون البحث عن القصد المشترك أو القصد المستقل بدلالة التركيب النظامي أو محتوى النص / الخطاب، وهو المتصور قبلا في الذهن عند صاحب النص، وقد ظهر تركيبا نظاميا في المظهر التداولي للتركيب أو النص / الخطاب . على هذا الترتيب يكون التوجه الجديد في اللسانيات المعرفية إعادة الاعتبار لصاحب النص على خلفية سياق الكلام والتلفظ، وهو موضوع لم تناقشه اللسانيات بل هو معرفة نقدية، برؤى فلسفية، فتحت نقاشات مطولة لصراع المدارس الفرنسية والألمانية والإنجليزية، وبفكر جاكندوف الذهني التصوري تدخل المدرسة الأمريكية هذا الصراع

من باب علم النفس اللغوي وعلم النفس المعرفي، بل من باب العلوم المعرفية.

في فهم الخطابات والنصوص والتراكيب وإدراك معانيها يتعين البحث في قصد المتكلم والوصول إلى ما يُعتقد أنه رسالة يُراد تبليغها. وقد تعيّن عند لاكوف أن تتدخل الصوتيات والصرف والتركيب والموضوعات بوصفها نماذج مقاربات معرفية تصنع المعنى. وعند جاكندوف تأكيد على إسهام موجهات الإدراك في تعيين المعاني، ومن ذلك حديثه عن الأسماء والأشياء المجردة والموضوعات والحالات وكلها في "أسس اللغة"¹، وله في "علم الدلالة والعرفانية" ما يساعد على الفهم كنظرية الحقول الدلالية وفرضيات العلاقات الإسنادية².

الأشكال:

[الشكل 1] وتحولاته: الدلالة التوليدية:

Gramm.syntagmatique

النحو التركيبي

Transformations obligatoires-lexique

¹ - ينظر هذا البحث، ص 10 و 11 و 12.

² - تنظر ص 335 وما بعدها. وعند الزغول والزغول في علم النفس المعرفي ص 238-239 ما يجعل المعنى يقع فهمه وفق ما تقبله عملية الصياغة وعملية التوظيف، ليكون الفهم معادلا لمعاني الكلمات والجمل المضمنة في شبكة العلاقات المعرفية والدلالية. وفي نظري هذا كلام عام يقع على كل ملفوظ قائم على حضور المتخاطبين وليس على محتوى النصوص والخطابات.

تحويلات ضرورية- المعجم

Phrase nayaux structure profonde

الجملة النواة- البنية العميقة

Transformations
sémantique composante (signification)...
facultatives.....compos phonologique(chaine acoustique)

(الارتباط السمعى)..... المركب الفونولوجي..... تحويلات

اختيارية..... المركب الدلالي..... الدلالة

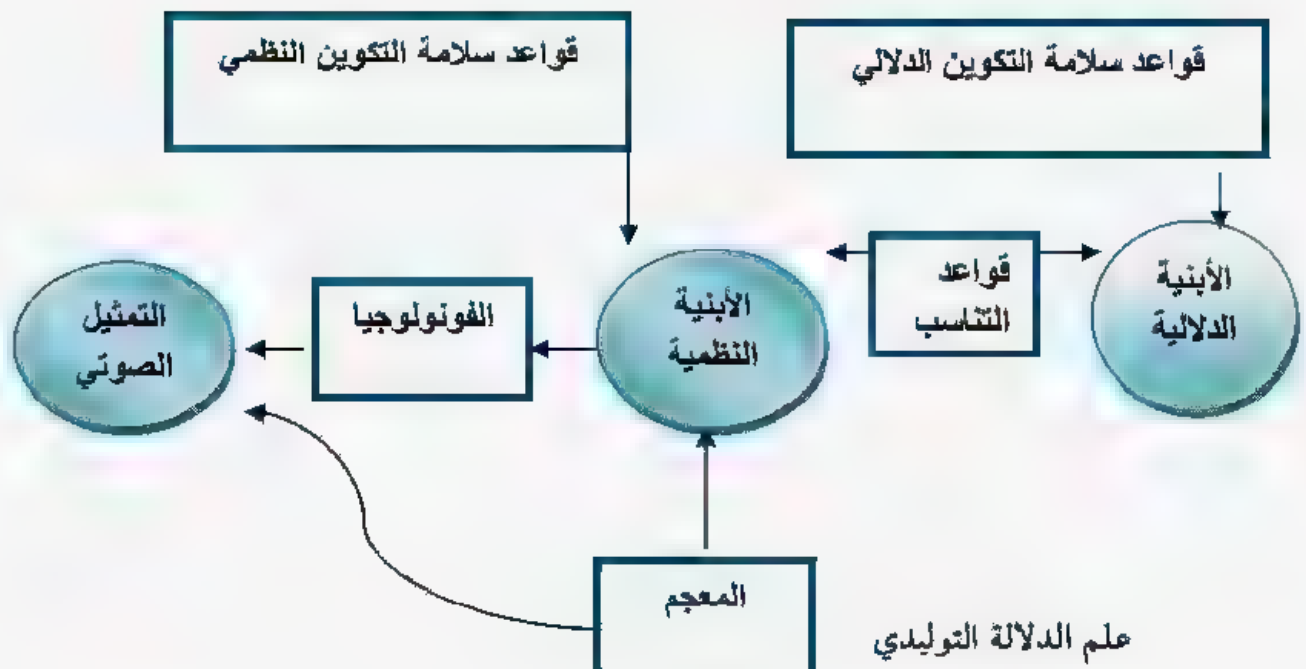
Structure de surface

البنية السطحية

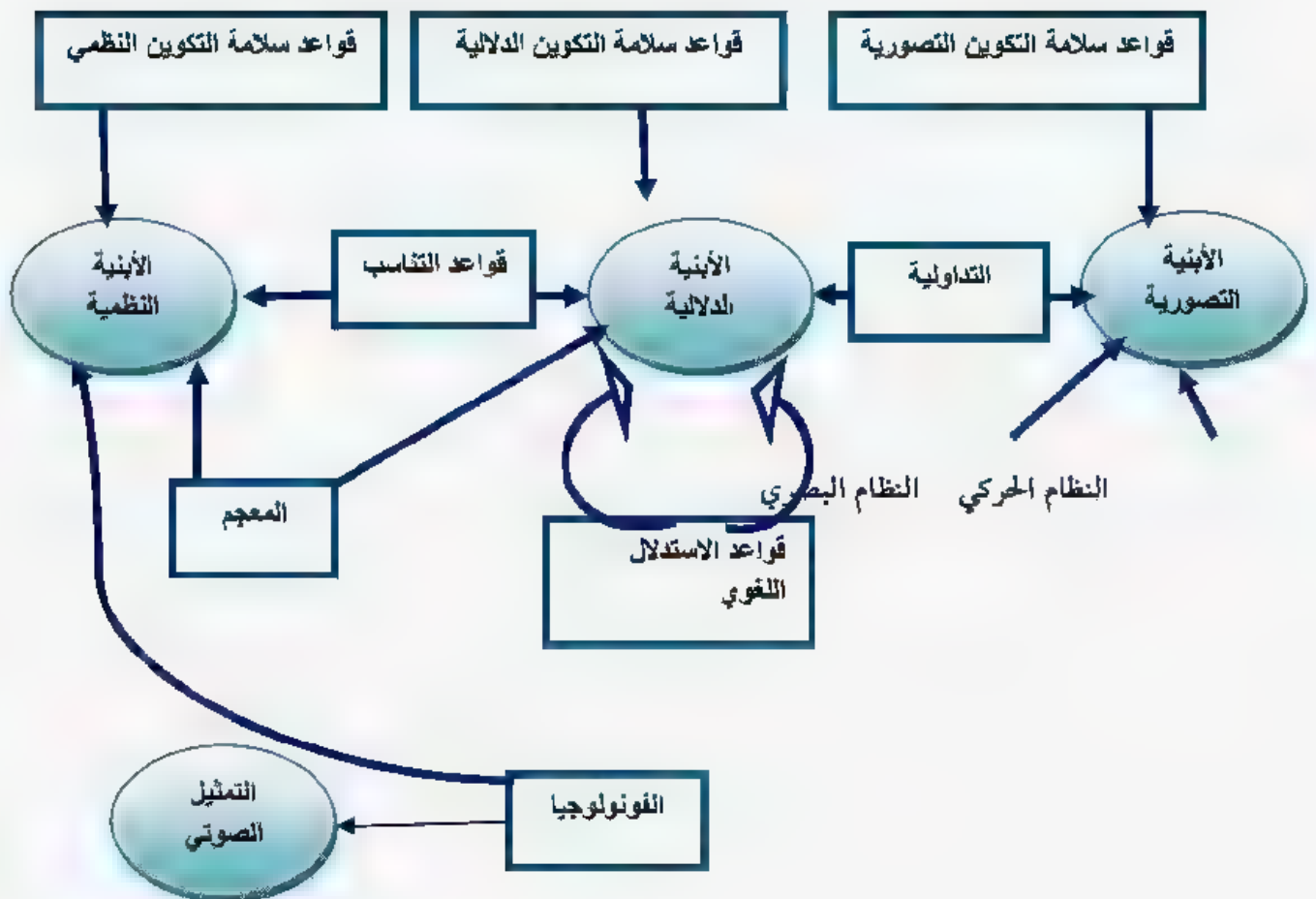
Daniele Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage,
p488.

[الشكل 2]: جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص 56، والشكل 3

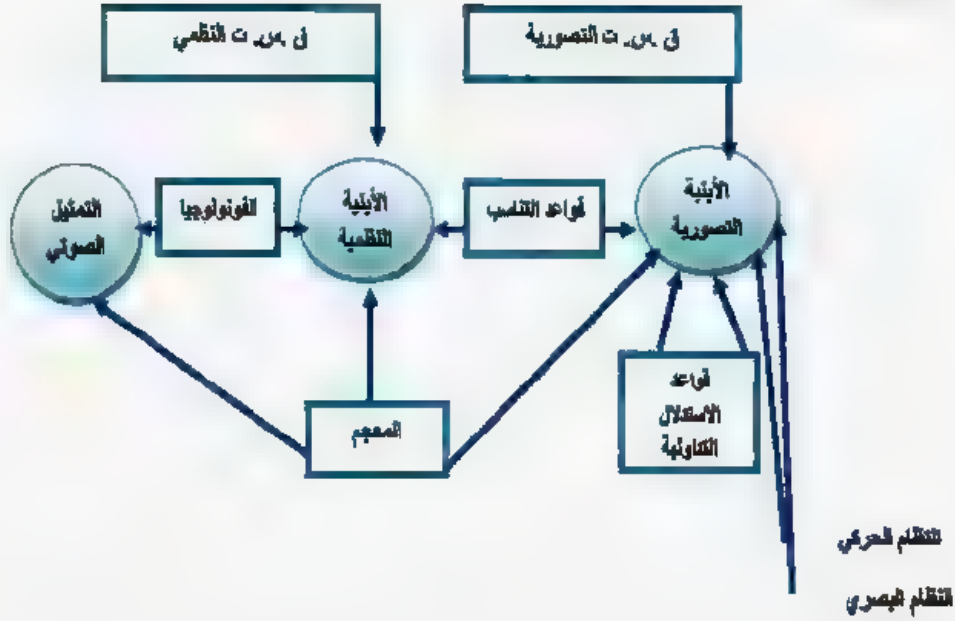
في ص 74، والشكل 4 في ص 75 منه



[الشكل 3]



[الشكل 4]



[سلوك ذهني و سلوك مادي لغوي = علم الدلالة الذهني التصوري]

خلاصة:

عندما تكون موضوعات توالي الجمل والرسالة والتواصل إخبارا وإعلاما، ويكون تراكم الأصوات واللعب بالكلمات وتشاكل التراكيب وتباينها مداخل نصية، وتكون المقصدية في صورتها النصية والمجتمعية هدفا خطايا؛ فإنَّ العوامل النفسية والأعراف الاجتماعية والقيم التداولية تنسجم وتترابط مع البنى النصية القائمة على البنى الدلالية والتصورية وربما التوليدية أيضا، وفي كلِّ ذلك خرق الواقع وأفق التوقع وعلاقة كلِّ ذلك بالبنيتين السطحية والعميقة وارتباطهما بالواقع المحال عليه. إنَّ المائل

أمامنا في حال التحليل (تحليل الخطاب) هو هذا الذي تمّ بيانه، فأتى للمحلل بربط هذه الظواهر في صورتها المادية بمكتسبات البنى التصورية والذهنية؟

على هذا يأتي حديث المشيرات والتشاكل والتباين والتكرار والتناص والانزياح والقصدية والتضاد والتناقض والتناظر مساعدات على التحليل بدءاً بالبنية اللسانية سطحها وعميقها، وانتهاءً بالإحالة على الواقع وملء فجوات الخطاب فهما واستيعابا، وتعاملا مع صور الإبهام والغموض والترميز وفق مجمل التأويل ومفصله وحرّه إشارة وإيحاء، نطقا وسكوتا، اختيارا وتهميشا. وعلى هذا تناقش المقاربات قضايا التحولات والنصية والسياق والقصدية والتواصل والتفاعل والتشابه والاختلاف وتحولات الوظائف والتعريف الفلسفية بوصفها قضايا رئيسة، كما تناقش الغموض والوضوح والآليات المنهجية والإجرائية بوصفها قضايا فرعية تستند إلى القضايا الأولى. لقد أدى هذا الزخم الهائل من القضايا والمعارف في مجال تحليل الخطاب إلى صراع ثلاثي بين المدارس الفرنسية والألمانية والانجليزية بل والأمريكية ليصبح الصراع رباعيا لا يتعلّق باللغة والانتماء بقدر ما يتعلّق بالمفاهيم النظرية والخلفيات الفكرية.

في هذا البحث استقصاء للعلاقة بين اللسانيات وبعض العلوم المعرفية للوقوف على قضية المعنى والدلالة التي تحملها الخطابات، وكيف يشتغل الفهم مقارنة بالأداء من وجهة نظر العلوم المعرفية، بل علم الدلالة المعرفي على الخصوص ليسَ رؤية جاكندوف في عمليتي الإنتاج والفهم بوصفهما ظاهرتين لسانيتين الأصل فيهما الذهن والتصور.

المعلم الثاني : التخصصات البيئية وتحليل الخطاب

رؤية جديدة نحو تكامل المعارف.

مقدمة :

انتهينا إلى أنّ اللسانيات بوصفها علما معرفيا يقتضي الاشتغال به معرفة التحولات الحاصلة في بنية التفكير البشري تطورا ومسايرة للواقع الذي يتعيّن فيه الوجود موكبا للحاجة الإنسانية معرفيا. فإذا حدث التسليم بأنّ اللسانيات علم معرفي-وهو كذلك قطعاً-؛ فإنّ كلّ ما يُعلم ويُعرف هو في الأصل نص/ خطاب، أي مادة لسانية، بما يصنع في راهن الحال طبيعة معرفية تشمل الاستقلال كما تشمل التكامل المعرفي. وهو ما يجعل اللسانيات بهذا الشكل تخصصا بينيا "interdisciplinaire"، وذلك من حيث أنّ البيئية موضوعات مشتركة بين تخصصات عدّة، ومناهج مشتركة بين تخصصات عدّة أيضا، بما يتطلب تحديدا للموضوعات وتحديدًا للمقاربات، ترتيبا حيثيا وتأسيسا للبيئات، تجعل محمولات النصوص موضوعات بيئية، وطبيعة المقاربات وكذا تناولها مناهج بيئية. بمعنى سيجري العمل على الموضوعات كما سيجري على التخصصات ومقارباتها، والعامل المشترك بينها جميعا هو البيئية والاشتراك والتكامل.

فما البيئية وما مجالات اشتغالها في تحليل الخطاب؟

وهل يمكن تحديد مفهوم البيئية عمليا وإجراءيا من خلال مجالات الاشتغال التي تحدّد واقع الحال؟ أي هل يمكن تبين البيئية من خلال التخصصات والموضوعات والمناهج والمقاربات.

هل للبيئة ذلك البعد الذي يتجاوز نقاء التخصص إلى المعرفة المركبة والمعقدة؟

وهل حدث التحوّل بفعل الحاجة والضرورة أم بفعل الفكر البيئي وتكامل المعارف اللذين تقتضيهما الثقافة والمعرفة الإنسائيتين؟

البيئية : المفهوم ومجالات الاشتغال؛

البيئية في الموضوعات والتخصصات؛

تسعى البيئة إلى دمج المعارف وتحقيق التكامل¹ بما يعطي إبداعا في التفكير من حيث الجمع بين الطبيعة النصية الحاملة للمعرفة ومناهج تحصيلها، بعيدا عن المبالغة في رسم الحدود بين التخصصات، وعزل

¹ - الدراسات البيئية، مركز الأبحاث الوعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، 1438هـ/2017، وهو تقديم لجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية بوصفها جامعة تكرس التعليم البيئي، ص 9-10.

الذات عن التخصص الدقيق¹؛ لأنّ الهدف من اليينية في نظري ينتهي بل يبدأ من تحقيق التكامل بين المعارف، ولذلك يحقّ التساؤل عن طبقات المعرفة بدءاً من المحمول الأساس لبنية النص أي الموضوع إلى التخصص الدقيق إلى التخصص العام، ثمّ تعيين مدار الاشتراك من حيث التكامل واليينية. على أنّه يمكن أن يتمّ التوقف عند الاستقلال التام لطبيعة النص ومحموله والتخصص الوارد فيه، فتكون اللغة وسيلة والنص/الخطاب وعاءً والمحتويات والمضامين موضوعات مختلفة ومتنوعة في تخصصات مختلفة ومتنوعة، تتحقّق معها اليينية من جهة الاشتراك بين هذه العناصر: لغة النص ومضمونه والموضوعات المناقشة والتخصص الواردة فيه.

ففي العلوم الشرعية كما في علوم اللغة تلتقي اللغة والعلوم الإسلامية، كما تلتقي بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا القانونية والطبيعية². وفي العلوم اللغوية ذاتها تجد اللغة والنقد والأدب من

¹ - ينظر السابق، ص 11-13.

² في 24 / 25 / 03 / 2015 أقيمت ندوة بجامعة مكّاس، الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية بعنوان: "العلاقة بين العلوم اللسانية وعلوم الدين"، وفيها تمّ إبراز صورة التداخل في الاستعمال والتكامل في التحليل والاستدلال، ثمّ أقيمت بالكلية ذاتها في الفترة من 28 / 29 / 10 / 2015 ندوة علمية أخرى بعنوان: "قراءة النص الشرعي وسؤال المنهج لتبحث في آليات القراءة المشتغلة على النص الشرعي، وفيه تبّنت العلاقات الوطيدة والتداخلات المهيبة بين المنهج اللغوي والمنهج اللساني في معالجة النص الشرعي" وفي 24-25 / 03 / 2016 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال جامعة السلطان سليمان، أقيمت ندوة دولية أخرى بعنوان: "تفاعل مستويات اللغة في تحليل الخطاب الشرعي" وهو ما يظهر العلاقة البينية الظاهرة بين المجالين والتخصصين.

التقاطعات والبينية ما يجعل المجال الواحد منها وعاءً لباقي المجالات فتجتمع معارف علم الاجتماع والدين والإنسانيات والقانون واللسانيات¹ بما يصنع تقارباً بين العلوم المعرفية والتخصصات البينية، فإذا أضيفت إلى ذلك الحوسبة صار بين الاستقلال والتكامل المعرفيين

وفيها كما في سابقتها، كان الحديث عن هذا التداخل والتواشج بل قل البينية التي لم تظهر في صورتها الحقيقية كما تبدو الآن. وفي عام 2019 أقيم بجامعة المنيا مؤتمر الدراسات اللغوية والإسلامية حصراً وقصراً، وهو ما يتحقق معه بالضرورة تكامل المعارف الذي سبقت الإشارة إليه. وفي هذا الإطار يمكن الحديث عن هذه العلاقات في كتب كثيرة بينت هذه الصور لكثرات في النص ومناهج التأويل لأحمد مداس، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص9-41. وله أيضاً في قضايا تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص87-112، وفيها حديث عن مناهج التأويل في التراث وعلاقتها بالاستعمال اللغوي والاستدلال المنهجي والمنطقي. في هذين الكتابين تعالج للعلوم الشرعية من توحيد وعقائد مع فلسفة الطوائف الإسلامية في تحليل وفهم استعمال لغة الخطاب الشرعي. والاستدلال بما يقوم على التوجهات المعرفية والمرحمة في المذاهب ومناهجها. وفيهما أيضاً ما يُرفع إلى الفلسفة الغربية وفلسفة اللغة خصوصاً وحديث مطول عن التفكير والسميماوات وأويل بوصفها معارف بنية، والتداولية ونظريات القراءة والتلقي بوصفها منهج تلتقي في موضوعات مشتركة تشكّل مدارات التحليل. وفي كتابه الثاني هذا أيضاً ص181-208 حديث عن الترابط المفهومي ربطاً بين اللسانيات النصية وموضوعات العلوم لشرعية بياناً لأوجه التدخل بين المعرفتين من باب الترابط المفهومي ودرجات المعنى. وهو لم يُدرج هذه الأعمال في سياق التخصصات البينية الصريح بقدر إدراجها في التعامل مع مصامين النصوص.

¹ أقيم في الفترة من 19 إلى 21/07/2016 مؤتمر البلاغة بين النقد والأدب واللغة بكلية الآداب جامعة الطفيلة التقنية بالأردن، وقد تعيّنت «بلاغة موضوعاً مشتركاً بين لغة إطاراً عاماً وبين الأدب إطاراً خاصاً، وبين النقد منهجاً للتقويم والمعيارية قدماً والوصفية والتحليل حديثاً بالانتقال منها إلى الأسلوبية وقد تمّ تكريس البلاغة بوصفها منهجاً قائماً بذاته في تحليل الخطاب الشرعي والأدبي، طبعت أعمال المؤتمر في دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017.

صلات انفصال بدلالة التخصص، وصلات اتصال بدلالة التداخل والتواشج والتكامل. إنه بحث في ما يشبه الموسوعية ولكن بتعمق وتدقيق¹.

لقد جرت المعارف البيئية على علاقات اللغة بعلوم الاجتماع والنفس والحقوق والفلسفة وعلوم الدين والتاريخ والعلوم الفيزيائية وغيرها. وعلى هذا الأساس؛ فإنّ موضوعاً كالتأويل² مثلاً يجده الباحث في علوم اللغة وعلوم الشرع والفلسفة وبعض مدارات علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية مرةً موضوعاً مجرداً نظرياً، ومرةً منهجاً ومقاربةً لفهم والإدراك والاستيعاب، وهو بذلك له وجود متعدد، ينحو إلى البيئية.

¹ تمّ إقامة مؤتمر للدراسات البيئية عام 2014 في المملكة العربية السعودية، وأقيمت في 13/11/2018 ندوة علمية دولية في التخصصات البيئية وتحليل الخطاب الأدبي بجامعة قفصة بتونس. وفي 24-26/03/2019 أقيم بجامعة الفيوم مؤتمر الدراسات البيئية على أساس توسل التخصصات المختلفة باللغة في مناقشاتها لموضوعات علومها.

² في ماي 2014 أقيمت ندوة دولية بجامعة محمد الأول في رحاب الكلية المتعددة التخصصات في الناظور تحمل عنوان 'التأويل في التراث الإسلامي بين القدماء والحديثين، جعلت مادة اشتغالها التأويل بوصفه منهجاً للاستدلال والفهم، وممارسة في الاعتقاد وبخاصة في باب التوحيد والعقائد.



من هنا تتعين طبقات المعرفة البيئية في :

- لموضوع الرئيس في التخصص الدقيق

- مناقشة الموضوع نفسه في تخصصات دقيقة أخرى

- تداخل التخصصات وارتباطها بموضوعات بعينها

- الاستقلالية المعرفية (المعرفة المفردة المعمّقة) في مقابل التكامل المعرفي (المعرفة المركبة المعمّقة).

البيئية في مناهج التحليل والمقاربات:

بين التفكير البيئي *interdisciplinaire* وتعابر الاختصاصات *transdisciplinaire* وتعدد الاختصاصات *pluridisciplinaire* أو *poly disciplinaire* ومتعدد الاختصاصات *multidisciplinaire* تداخلات

مفاهيمية مفادها-كما أسلفت- دراسة موضوعات مشتركة بين المعارف المختلفة، أو تناول اختصاصات متعددة لموضوعات بذاتها بما يصنع الرؤية اليبينة¹. وإذا كان هذا المدّ على مستوى الاصطلاح كما هي العادة في الدرس اللساني والنقدي المعاصرين؛ فإنه على مستوى حالة العلوم l'état des arts من حيث اليبينة، قد أخذ منحى جديدا خالف فيه مبدأ القطيعة ونقاء التخصص إلى مبدأ التعاون والتكامل وتعدد المعارف، بل اقتضى التفاعل والتواصل هذا المنحى بوصفه تحوّلا طبيعيا في إدراك المعارف على مستويات مختلفة، شملت علم الحاسوب وعلم الاجتماع وعلم النفس، وامتدت إلى الإبداع الأدبي شعرا وسردا. ثم تلاقح الأدب والتاريخ² والفلسفة³، وفي ذلك وصل للمجالات المعرفية بعضها ببعض لتتيح لها فرص التكامل وتكوين معرفة شاملة عوض الاختصاص الذي يكسر هذا التكامل ويشدّد على الفكر الأحادي، وهذا منحى. المنحى الثاني، أنّ التعليم ومنظوماته يمكنه استغلال هذه الظاهرة لدفع التكرار والإسراف

¹ - ينظر: محمد قماري، التفكير البيني، نحو كسر للحواجز بين الاختصاصات، مجلة مقاليد، العدد 14، جوان 2018، ص 3-8.

² - ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني، أمسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، د ت ص، ص 282.

³ ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص 33-58 بما عنوان له بـ: "فلسفة التعرية المعرفية"، في حديثه عن بول ريكور (P.Ricoeur) وهو يناقش فنّ لشعر "لأرسطو من جهة الزمان والسرد والحيك، والمحاكاة الثلاثية، وقد جمع بين الأدب والتاريخ والفلسفة.

والتبذير في الجهد الفكري بالاعتماد على الوضعيات اليبينة المدججة¹، بل ويسهم في تكوين نوعي قد تكون له ثماره في المستقبل بعد اعتماده منهجا مركبا في التكوين؛ ذلك أنه بين الآداب والعلوم النفسية (اللسانيات النفسية وعلم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي وعلم نفس الطفل) وبين السرديات التأويلية والأسبوعية الإحصائية ارتباطات لا تُنكر، ومظاهر اليبينة فيها لا تُغفل². وعلى العموم فإن التفكير اليبيني يمتد في تحليل الخطاب أكثر مما في سواه، ولذلك يأتي البحث في هذا المجال أكثر غنى، وأجل معرفة، وذلك لمجرد النظر إلى البنى السطحية للخطابات والبحث في محتوياتها ومضامينها ومحمولاتها؛ ذلك أن الأصل في كل تفاعل أو تواصل معرفي لغة خطاب ما في مجال معرفي ما يتناول موضوعا ما، من هنا تكون لغة النص/الخطاب قاسما مشتركا ترعى فيه اليبينة وتتطور لتخالط- في مستوى آخر- العلوم المعرفية في حالة ترابطها، إن على مستوى الموضوعات المشتركة أو على مستوى مناهج الدراسات فيها، وهي التي تجري على تحري المعرفة في الموضوعات المشتركة.

¹ ينظر: صالح بن رمضان، التفكير اليبيني، ص 283.

² ينظر. صالح بن رمضان، التفكير لبيبي، ص 66 لتقاطع الخطاب الأدبي والخطاب القانوني، ص 71 في علاقة الأدب بعلم الإناسة (الانثربولوجيا)، وص 82 لليبينة والتكوين المدرسي، وص 89 لتعليمية الحجاج، وص 94 لعلم الاجتماع المقارن واليبينة، وص 122 لتقاطع العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، ص 135 للسرديات لتأويلية، وص 136 لعلم النفس والمقاربات اليبينة، وص 147 للموضوعاتية وعلم النفس الأدبي. وص 157 للتناص بوصفه فكرا يبنيا، وفيها جميع ذكر لتخصصات مختلفة تشغل على مبدأ اليبينة.

ولو تتبعنا نصا سرديا¹ من جهة مبناه السردية وكيفية تناسقه وانسجامة شكله، لوجدناه قد أخذ من النقد السردية حظه ومبتغاه كما

ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، اللسانيات والأدب موضوعان معرفيان، مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد 2، ص 36-47. في هذا المقال حديث عن السرديات المعرفية والسردية طريقة في التفكير، بل هو طريقة في الكشف والإدراك الذاتي، لأنه كما يقول الباحث السرديات تصور معرفي (ص 46). وقد كان لهذا الموضوع شيء من التفصيل عن هذا الاستيعاب وكيفية تمثيله في قضايا في تحليل الخطاب لأحمد مداس، ص 33-58. إن الإدراك والاستيعاب تصورًا ذهنيًا هما محاكاة أولى تقابل المحاكاة الثانية تصويرًا وتدوينًا وبناءً سرديًا يشتغل على قواعد وقوانين الحك السردية داخل كلّ منسوق. إن فكرة الإبداع تبدأ بالتصور فالتصوير، أي المحاكاة الإدراكية فالمحاكاة لتصويرية ثم تطرح للقراءة والتناول والإدراك عند الآخرين، والموضوع هنا مناقشات بين دريدا وهوسيرل وريكور وغيرهم. ولا يزر في التخيلي والخيالي من منظور الأنثروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، لدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998، ص 7-29 مباحث مهمة في هذا الطرح يحسن العودة إليها. إنه الإدراك كما يتبدى لقارئ تمامًا كالإبداع للمبدع. وقد ذهب إيزر فيه إلى التركيز على المعرفة الضمنية للخيال والواقع من خلال موسيولوجيا المعرفة، الضمنية بوصفها تخزون المعتقدات التي تبدو قائمة على أساس سليم، الأصل فيه المرجعية الواقعية التي تعطيه صفة لفهم والإدراك؛ لأن النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخيل، ولذلك فهو يولد تفاعلًا بين المعطى والتخيّل. تنظر ص 7 منه.

وعلى هذا فالنص - الواقع (réel) + التخيل (fictif/fiction) + الخيال (imaginaire)

[حقيقة + معرفة ضمنية] + [مركز عملية التحويل] + [شكل]

إن الواقع يُعاد إنتاجه في النص بعناصر منتقاة يتم التركيب بينها بكشف ذاتي يسري على الإدراك التصوري كما يسري على الإنتاج والتصوير، وهو ما يكفله التخيل، ليحوّل ذلك الواقع إلى دليل في جبة الخيالي. بما يساعدنا على تصوّر مرجع الدليل الخارج نصي بوصف هذا العمل إبرازًا للأناق المتصارعة وكشفًا عنها في واقع ما، ليحكم على ما في النص في ضوء ما هو غائب على أساس التخيل بالكشف الذاتي الذي يعين عناصر عينها تُتقّى ويتمّ التركيب

أخذ من النقد اللساني صورته، وبينهما تلعب العوامل والعلاقات السردية السيميائية دورها في بلورة جودة الطرح والعرض. وإن تتبعناه من جهة مبناه الدلالي، لوجدناه مدًا إيديولوجيا وصراعا معرفيا وصورًا تتعاقب وأخرى تتعارض لتقدم الموضوعات إلى القارئ مجسدةً في أفعال الشخصوس وسلوكاتهم وفي الأحداث التي يشاركون في بنائها تكميلاً لبنيات الموضوعات كما هو الحال في البرامج السردية رئيسيها وفرعيها.

فمن ناحية أولى تتعين البنية في "فضاء واحد يحشد مختلف اللغات ومستويات التركيز والقيم والإيحاءات... داخل النص"¹ لتعيش من خلال العلاقات القائمة بينها بوصفها عناصر النص المتناقضة². ومن ناحية أخرى تتعين المعرفة/ العرفانية (cognition) من خلال العملية العلائقية التي تحول وظيفة اللغة الدلالية إلى وظيفة النصور³، بما يجعل

بينها لإظهار الواقع في علاقته بالنص والمرجع الخارجي. ولأنّ المعنى هو العملية الدلالية التي تجعل تجربة الخيالي ذات معنى لدى لقارئ؛ فلا بدّ أن يحقق النص واحدة من المعادلات الآتية: عالم النص كما لو كان الواقع، أو كأنه الواقع، أو كما لو... تكون له علاقة بالواقع، وهو فعل تصوّري ذهني خالص، بما يعالقه بالفهم والإدراك المعرفيين على أساس التعبير والتمثيل، والتصور والتصوير بما يصنع البنية بين لبنية النصية اللغوية/ اللسانية والمحمول الدلالي ومضامينه وتضميناته المرجعية والإيحائية. تنظر ص 8-12 منه.

¹ - ينظر: إيزر، التخيلي والخيالي، ص 15. إيزر في هذا الكتاب لم يذكر مطلقاً البنية ولم يذكر المعرفة وإنما بالواقع والتشابه والتحليل يجوز لنا هذا الفهم وهذا الإدراك.

² - ينظر السابق، ص 15.

³ - ينظر السابق، ص 17.

عالم النص الذي سبقت الإشارة إليه من حيث الإدراك والمحاكاة والتخييل والتلقي ولقراءة عملا ذهنيا تصوريا خالصا، تعبيرا وتمثيلا وتفسيرا على مستوى المرجع والواقع، وعلى مستوى البنية النصية واللسانية.

ويبدو أنّ الهدف في نهاية الأمر ينتهي عند بناء المعرفة على أساس التكامل، وتصبح العلوم المعرفية نسقا يبنيا يهتم بسيرورات اللغة بالدرجة الأولى في استعمالاتها اللغوية¹، وذلك من مناحي متعددة، أحدها اشتراك كل المعارف في التمثيل اللغوي، والتضمنين المعرفي ومرجعية الأنساق المعبر عنها مع إيزر²، والثاني تقاطع المعارف في دراستها للموضوعات المشتركة، والثالث استدعاء الموضوعات بوصفها مضامين التخصصات المعرفية/البينية إلى محاورتها ومناقشتها بما يتيح تكاملا معرفيا يقوم على تضافر التخصصات كالفلسفة والمنطق وعلم النفس المعرفي والانثروبولوجيا والبيولوجيا وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، وهو ما يؤسس لتفكير مفهومي في دراسة العقل الإنساني واستعداداته وكفاءاته التي تتيح له الفهم والتحليل والتأويل وتمثل المعرفة وتمثيلها³، بما ينتهي

¹ - ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص 13.

² - ينظر: إيزر، التخييلي والخيالي من منظور الانثروبولوجية الأدبية، ص 17. [لفظ الانثروبولوجية هكذا ورد في الكتاب المترجم، فحافظت عليه كما هو. العادة أن يكتب: الانثروبولوجيا].

³ - ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص 12. وفي ص 14 من مقاله يعرض مفهومين للعلوم المعرفية ينتهيان عند التفكير البيني: أولهما لفريدنبرغ G.Friendenberg وفيه: "العلوم المعرفية هي الدراسة العلمية المتداخلة الاختصاصات للعقل". وثانيهما لدانيال أوندلار D.Andeler ومفاده أن العلوم المعرفية تضم تنويعا من العلوم والمقاربات بهدف تقديم تفسير علمي متكامل

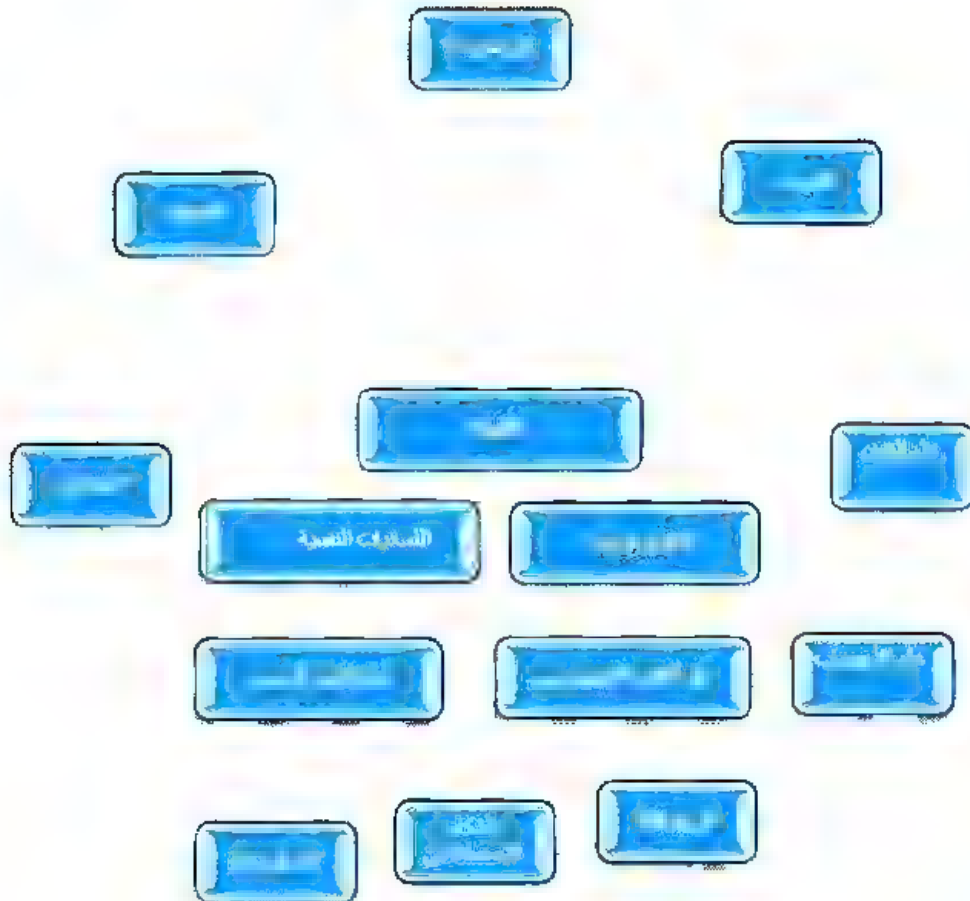
إلى التفكير اليبني من حيث تنوع العلوم وتنوع المقاربات التي تشتغل على العقل والإدراك والفهم على مستويات مختلفة مع الإبداع والإنتاج ومع القراءة والاستيعاب والتحليل والتفسير. من هنا، ومن خلال تضافر التخصصات وتضافر المفاهيم في البحث عن المعرفة التصورية والذهنية والدلالية تماهت الحدود بين العلوم المعرفية وبين التخصصات اليبنية، وبخاصة حينما يكون موضوع البحث هو المعنى¹ في نقاش اللسانيات واللسانيات التطبيقية وعلم النفس التربوي وعلم النفس المعرفي، وهو ما يظهر في التشابك المعرفي كما في الشكل A، ثم في التشابك المعرفي ذي الواجهة النصية أو الخطاب في مبناه اللغوي ومضامينه المعرفية التي تؤسس للمعرفة من حيث الاستقلال أو من حيث التكامل والتضافر كما في الشكل B.

للعقل، حالاته وعملياته ووظائفه. ولا يخفى التداخل الجامع بين التخصصات اليبنية ومجالات اشتغالها.

أكد بيتر سلوترديك في الانثرو تقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، تر: أماني أبو رحمة، مؤسسة مؤثون بلا حدود للدراسات والبحوث، قسم العلوم الإنسانية وفلسفة، 2015، ص 11 على الحياة المكانية من خلال تكاتف العلوم الإنسانية والاجتماعية والانثروبولوجيا وعلم الآثار والعمارة والاقتصاد والتعليم والتاريخ والقانون والسياسة وعلم الاجتماع والسياسة الاجتماعية. ومن هذه العلوم يمكن تحديد علامات الحياة المكانية. وفي نظري يعمل هذا التداخل بين العلوم والمعارف على بلورة ما سماه "مدينة الرغبة" في تداخل فقاعاتها المعرفية بين ثابتها وزائليها.

* ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص 23.

الشكل A¹:



نقلا عن بشير إبرير، مدخل إلى D.Ancel, sciences cognitives, encyclopedia, Universalis, V65. العلوم المعرفية، ص 37.

الشكل B¹:



إنّ النظر إلى المجالات المعرفية المبيّنة في الشكل A يجعل الفلسفة في تشابكات معرفية مع الفيزياء والرياضيات والمنطق، ثمّ مع اللسانيات وعلم النفس وعلم الأعصاب والذكاء الاصطناعي والمعلوماتية، ليكون

شيفر جون ماري، الفن في العصر الحديث، ترة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 462. نقلا عن بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، ص 38.

علم النفس الفيزيولوجي وعلم النفس العصبي في تمهيد شبه تام مع اللسانيات النفسية والبعد الانثروبولوجي. وكلها علوم ومجالات بحث ترتبط بالإنتاج اللساني. وهو عينه الإنتاج اللساني الذي يتكئ على اللسانيات العصبية، ويستند إلى الانثروبولوجيا الرمزية وعلم اللسان وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي في التحليل والفهم والإدراك. وليس لكل هذه المظاهر المعرفية إلا مادة النص/الخطاب، ليشيح علم النص لهذه المعارف التضافر، ويعطيها شرعية الاشتغال عليه¹، وهي مجالات الشكل B.

وإن كان لا بدّ من تفريق بين مجالات الدراسة في العلوم المعرفية ومثيلاتها في التخصصات الينينة؛ فإنّ الأولى تعنى بالذهن وطرائق التفكير والإنتاج والفهم والإدراك وتفسير كلّ ذلك، في الوقت الذي تأخذ فيه المعارف الينينة الاشتغال على الظواهر المادية وشبه المادية التي تعبّر عنها الخطابات وتمثّلها بحثا في الواقع والتخييل والخيال والمعارف التضمينية بما يفسّر الوارد في لشكلين A و B من جهة البنى النصية إنتاجا وتحجيلا وقراءة، حين تتفاعل الأجناس داخل بنية التهجين الأجناسي hybridation générique مما يعطي خطابا يبنيا يشكّله تفاعل الأجناس والتناصر والبنية

¹ - ينقل بشير إبرير عن ذهنية هو الحاج قولها: تكمن أهمية العلوم المعرفية في دراسة طرائق الاشتغال المعرفي للذهن ينظر: مدخل إلى العلوم المعرفية، ص 37 وقول ذهنية هو الحاج، في التداولية المعرفية، فصول، عدد 100، ص 339. وقد صدقا معا.

النصية¹، ويظهر التناص في الموضوعات والأجناس داخل البنى النصية مظهرا يبنيا؛ لأنّ افتراض الباحثة قائم على تشكّل الخطاب البيني من النص والتناص وتفاعل الأجناس بما سمّته التهجين الأجناسي (خطابية- أجناسية- نصية). وفي هذا الطرح عودة إلى أعمال جون ميشال آدم J.M.Adam في تفصيله لموضوع النص والخطاب ومكوناتهما.

في هذا الفضاء المعرفي يمكن استقبال مؤلف صالح بن رمضان: التفكير البيني أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها. وقد بدا لي -إن فهمت ما قدّمه صالح بن رمضان - أنّ البينية عنده في توارده طرق متعدّدة في الجنس أو العلم أو الشكل المعرفي الواحد²؛ فإذا نظرنا في طرحه قضية الآخر وآفاق البينية في الشعرية الحديثة، بدت البينية تقابلا بين أنا والآخر. وفي طرحه لقضية الزمن الحدودي في شعر الرومانسي، بدت البينية عنده تنوعا لفضاءات الرغبة والتأمل والحرية والانعتاق³. وقد اعتمد التحليل لبيان وجوه البينية برؤية ذاتية بعيدة المأخذ والمنال، يمكن أن ينالها البحث البيني. إنّ الاعتداد بالموضوعات في

¹ ينظر: نسيم عروس، في الخطاب البيني، خواطر نظرية من وجهة نظر المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد 27، ديسمبر 2016، ص 70، والتناص فكر بيبي كما ذكر صالح بن رمضان في التفكير البيني ص 157، وهو مدخل مهم من مداخل تحليل الخطاب.

² ينظر: التفكير البيني، ص 198.

³ ينظر السابق، ص 199-207.

اشتراكها بين التخصصات بينية ظاهرة، ودراسة التخصصات لموضوعات من وجهات نظر مختلفة هي من صميم تلك التخصصات، وهي بينية ظاهرة، ولكن طرح بن رمضان هنا هو أشبه ما يكون بتوالد الصور وتكاتفها في ظل موضوعات بذاتها. وبذلك يأتي فيه شيء من الغموض يقطع وضوح الشكل البيني الذي نودّ التعريف به، وهو ذاته يؤكد وجوده على امتداد بحثه¹، كما أكد صورة تنوع المناهج في تناول المادة العلمية كحال الأمثال² في الدراسات البلاغية والدراسات الأنثروبولوجية، ليتمّ الجمع بين القول والإنسان والطبع والهوية والأخلاق.

وفي هذا الإطار كان بيتر سلوترديك (P.Sloterdick) قد أكد على فكرة التنوع المنهجي من خلال الجمع بين المنهج والزمان والمكان بوصفهما وجودا والمعرفة بوصفها محرّكا داخل هذا الوجود³ من خلال

¹ - تنظر ص 40 من هذا البحث، الهامش 2. وقد تحدث صالح بن رمضان في التفكير البيني عن مقاربات بينية وموضوعات بينية تشغل عليها التخصصات العلمية مسنشهدا بأراء غيره من الباحثين. تنظر ص 256-262 وقد تعيّن فيها الحقل السيميائي مشتغلا على تقاطع التخصصات (رشيد الإدريسي)، واللسانيات وتمازج التخصصات (المسدي)، والمعارف الحضارية وتقاطع العلوم الإنسانية (كمال عمران). وقد أشرنا إلى غير هذا في مواضع أخرى.

² ينظر التفكير البيني، ص 161 وما بعدها.

³ ينظر: بيتر سلوترديك، الانثرونقانات، ص 12-13. وينظر في التجربة العربية صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص 116 عن تحليل الخطاب وآفاق البينية، وص 127 للسانيات والأسلوبية، وص 130 للسانيات الإدراكية والفكر البيني. وهو كثيرا ما يجمع بين التخصصات والموضوعات والمناهج ويؤكد على طبيعتها لبينية. سنعود إلى هذا الموضوع مع التجريب و القياس، والتجربة الفردية في حينه. وهو مبحث قد باتي في أعقاب هذا وقد نفرّد له مقالا خاصا

الانثروتنانات، بما يسمح بإنتاج الحقائق مع ظهور نوع جديد من المشهد المرقمن¹، وقد تحولت الحال من إنتاج الكائنات/ الأشياء (objects) إلى التركيز على إنتاج العوالم (worlds)² داخل ما سمّاه بالعزلة المترابطة³.

كما كان زيجمونت باومان (S.Bawman)⁴ قد خرج إلى فكرة الميوعة القيمية وتشوه أشكال القيمة، لتبقى غير محدّدة الشكل المعرفي، بما يسبب عقمًا في الفهم والاستيعاب؛ ذلك أنّ القيم تتحوّل إلى الطبيعة السائلة تأخذ الأشكال التي تجري فيها عوض شكلها الطبيعي القائم على المبدأ والمثالية والامتثال بما يبيحه المنطق والعقل والالتزام. وإن كان من العقل والمنطق أن تجري القيم السائلة في المجاري الطبيعية السابقة والتي تحتويها وترتضيها وعاءً لسيورتها بمجرد التحوّل الذي يسري على صفة التمظهر المختلف الذي تقتضيه الطبيعة السائلة. للفيلسوف الحداثة السائلة والحب السائل والسلطة السائلة و.... وكل السوائل القيمية تقتضي أن تكون موضوعاتها قابلة للتأقلم مع مناهج دراستها بقوة الطبيعة الأصلية

به. المهم أنّ للألمان رؤية تاريخية في نظرية القراءة والتلقي مفادها تتبّع التاريخ والتعامل مع التلقي طلباً للقراءة الصحيحة في مقابل القراءة السيئة، وتفعيل ثنائية الاختيار والتمهيش.

¹ - ينظر: بيتر سلوترديك، الانثروتنانات، ص 13.

² - ينظر السابق، ص 14.

³ - ينظر السابق، ص 11.

⁴ - ينظر الحداثة السائلة والحب السائل. وسيأتي الحديث عن هذا لاحقاً.

والطبيعة التي آلت إليها بما يجعل البينية تصوّرا ذهنيا ووجودا ماديا أمرا محتوما وقابلا للتناول والدراسة والإدراك المفرد كما الإدراك المركّب.

يصحّ هذا الكلام بجمع القيم المعنوية بالطبيعة المادية، فإذا صارت الحداثة -وهي موقف- سائلةً، وصار الحبّ -وهو إحساس- سائلا؛ فإنّ لازم السيولة أن تأتي على صوغ القيم والمواقف بما تجري فيه، وبذلك يمكن أن ترى الشيء وضده متلازمين بما مقتضاه معرفة ومعرفة مضادة تعطيان معرفة مركّبة على أساس التعارض، كما يمكن لها أن تكون على أساس التكامل. فلو درسنا الحداثة تاريخا وفلسفة، ودرسنا الحبّ ظاهرة نفسية لها انعكاسات أدبية وفنية، فإنّهما في نهاية المطاف موضوعان ينيان يدرسان في تخصصات مختلفة يمكن أن تستقل، كما يمكنها أن تتكامل، ويستفيد بعضها من مخرجات البعض الآخر معرفة مركّبة وفق منظور مقاربات متعددة ومناهج تحليل مختلفة تسري على الموضوعات التي تتجاذبها التخصصات المتنوعة.

بينية الحوسبة في تحليل الخطاب: من فاعلية الدماغ البشري إلى فاعلية الحاسوب (البينية المركّبة)

وفي البحث الدلالي تلوح الحوسبة من جهة الشبكة الدلالية برؤيتها التعليمية والتحليلية على مستوى الفعل والقول وعلى مستوى تضمين الفعل في القول وعلى مستوى الفعل الناتج عن القول، وكلها مباحث تداولية تشتغل على الدلالة مضمونا ومحتوى وعلى الحوسبة منهجا

للتحليل، بما ينتج عنه الطبيعة المعرفية لعلوم الحاسوب في تعاملها مع النصوص الخاضعة أصلا للسانيات وهي علم معرفي. وبذلك تلتقي العلوم المعرفية من جديد من جهة الحوسبة في تحليل الخطابات إن على مستوى الملفوظات أو على مستوى دلالاتها تعيينا حقيقيا وإيجاء إضافيا.

يقتضي البحث في هذا المقام استكمال البحث الدلالي بالخروج من الطبيعة البشرية ممثلة في الإدراك التصوري والذهني باعتماد قواعد المنطق وهندسة التوازي وكل ما له علاقة بالميزات البشرية إلى البحث الدلالي باستعمال برامج الحاسوب والذكاء الاصطناعي. وفي هذا الطرح موضوعان؛ أولهما الدلالة في البحث في مضامين ومحتويات النصوص. وثانيهما الحوسبة بوصفها منهجا للتحليل بتغذية سابقة للمعطيات تيسر الحصول على النتائج بحسب الأوامر المعطاة طلبا لتحليل ينحو الموضوعية، ويحجب قدر الإمكان عن أسئلة الاستعمال اللساني وفهم ملفوظاته وإدراك محتوياته ومضامينه.

إن موضوعية النتائج في هذا الصدد تجري على لغة النص/الخطاب على أساس كفايات أداء المعاني والدلالات، وهو مبحث يخص اللسانيات المعرفية عموما. والمبحث الآخر يخص علم الدلالة التوليدي وعلم الدلالة التصوري/الذهني، ويعنى بالمعاني والدلالات، وهو ما يتعلق رأسا بمضامين ومحتويات العلامات في حالة استعمالها في سياقات بذاتها وفق

منطق تعيين المقاصد على وجه الخصوص، وهو مبحث يخص اللسانيات المعرفية أيضا.

من هنا؛ يأتي حديث اللسانيات الحاسوبية وما دخل في زمرتها من قبيل اليونونيديا بوصفها شبكة دلالية لها قواعد وأسس ذات رؤية تعليمية، وأخرى تحليلية، وكلاهما تتأسس على التداول والاستعمال القابل للقياس والملاحظة والتحليل. وهو ما يسري على الفعل وما يتضمنه وما ينتج عنه.

إنَّ هذه الوجهة الثلاثية هي التي قد توحى بطبيعة الشبكة، ومفاد الموضوع الصيغة التشاركية والصفة المركبة للأقوال والملفوظات بما يعطي مركزا تحيط به مسارات تترابط وفق منظور الانتماء والنوع والامتلاك وطبيعة الحركة، بما يجعل الشيء معلوما في صورته المعجمية، ومعلوما في صورته السياقية ذات المقصد التداولي.

الشبكة الدلالية¹ صورة مسجلة مخصّصة لتمثيل المعارف، وتتعلّق بالمفاهيم (concepts) وبالأشياء (objets) على أساس الذاكرة الدلالية ومن خلال التعيين ب: هو / is a-is an-est un. له / has/a. نوع من / A kind of/Sorte de، كما يمكن إضافة علاقات من نوع الحركة (mvt)، فيكون

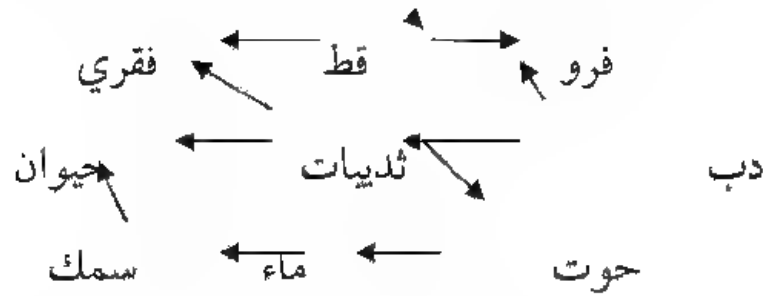
¹ - W.A.Woods , foundations for semantic, 1975.

- R Jackendoff, semantic structures, the MIT press Cambridge Mass , 1990

J.F.Sawa, encyclopedia of artificial intelligence, 1987.

اللفظ داخل الشبكة علاقة رباعية، تشتغل على المفاهيم والخصائص والوحدات وتكاملها بتطبيق مختلف قواعد البيانات من منظور ما.

والشبكة الدلالية شبكة دينامية تحقق في التشكيل الموالي تصنيفا وتمثيلا للمعارف مختزلا تحصل به الفائدة الدلالية:



إنّ الصورة الدلالية المختزلة (abstract semantic graph) واختزالا [A.S.G] شكل ترميزي تمثّل فيه العبارة بصورة أو تشكيل، وذلك وفق المعطيات اللسانية وهندسة برمجة اللغة وترجمتها. وعليه؛ فالصوره الدلالية المختزلة نمط ترميزي مشجّر مختزل يمثّل العلاقات الدلالية. وهو يبعث على استخدام مقارنة قاعدة البيانات الدلالية لفهم معنى المعلومات. كما يمكن استخدام قواعد بيانات متعددة.

تتخذ الشبكة الدلالية مظهرين: أولهما تعليمي تربوي، ينحو منحى التعليميات عموما، ويجري على تقصي الشيء من خلال الكلمة، أو المعنى من خلال التركيب. وثانيهما منهجي بحيث تتضافر المعارف

المنهجية¹، وتأخذ مخرج الذكاء الاصطناعي والحوسبة اللغوية بما يحقق كثافة معرفية. وفي المظهرين تكاتف وتضافر المنهج والمنهاج، وهو في العملية التعليمية عموماً يحقق غرض وجوده واستعماله وتغييه بغرض الوصول إلى نتائج أفضل. إلا أنّ مدار البحث هنا هو البحث في تيسير الفهم والإدراك، ليعود الموضوع إلى نقطة البدء. غير إنّ الاحتكم في هذا الوضع إلى التحليل السيمي القائم على كفاءة الحاسوب وبرامج التحليل الخاص يجعل من المنهج صورة متطورة تفوق ما أنجزه الإنسان، وذلك بمقارنة كفاءته بكفاءة الحاسوب وقدرته، بما يسهّل التحليل ويعطيه أبعاداً أخرى نحو الأعماق والأجود والأدق. وهو ما يحقق موضوعية أعلى، لا يعكّر الاتفاق على نسبتها العالية غير ذاتية البرامج بوصفها وضعاً بشرياً قائماً على المنطق المعقول.

ويدخل في هذا المجال قواميس المعاني الإلكترونية² المستعملة في الترجمة بالبحث في المعاني السياقية داخل الاستعمالات اللغوية الممكنة.

¹ - ينظر: صالح بن رمضان، التفكير البيني، ص 101 لتعليم اللغات، وص 104 للترابط النصي، وص 110 للتوثيق الإلكتروني، وص 111 للفضاء الإلكتروني واللغة العربية. وهو يتحدث عن المنظومات المعرفية الحديثة. المهم في الموضوع تقاطع اللسانيات والحوسبة بيننا وهما معاً علمان معرفيان.

² - <https://fr.globe.com/variété>.
<https://dictionnaire.reverso.net>.
<https://context.reverso.net/français-arabe>
<https://www.almaany.com>
<https://www.larousse.fr/français-arabe>.

معالم في مناهج تحليل الخطاب

ويبقى على الإنسان اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب في السياق والتركيب المناسبين. يقوم هذا العرض على فلسفة الاحتمالات الممكنة في الاستخدام اللساني للملفوظات في صورنها التداولية. وصحيح أن يحقق هذا الطرح حلولاً جمة في تحليل الخطاب¹، ولكن لا يخفى وجود مشاكل أخرى تضطلع علوم الحاسوب بحلّها، ومن ذلك عدم القدرة على الإحاطة بكل الاستعمالات بما يجعل البرامج مفتوحة على نوافذ البيانات التي تغذي الحاسب الآلي في تعامله مع الأوامر المعطاة لتغطية الطلب الدلالي. وهذا شكل آخر من البحث الدلالي المتعلق بتحليل الخطاب في نظري.

وفي الحوسبة صورة منهج متطور أساسه التحليل الحاسوبي للظاهرة النصية يمكنه إلى حدّ الساعة الإجابة عن الإشكالات المطروحة في التحليل

الأصل في كل هذه المواقع التعامس وفق منطق النصوص المترجمة والترجمة في السياقات المختلفة ويبقى على الإنسان الاختيار والتهميش.

وقد أنجز الزملاء في تونس منذ فترة طويلة برنامج معجم الطبيعة في الشعر لأندلسي، ومفاده: كتابة [10 كلمات × 10 أسطر × عدد الصفحات]، ومنه تتحدد لتسبة الكلية، النسبة الجزئية، التناسب، أو عدمه، بما يسمح بالقراءة والتأويل والتصنيف، ويمكن اعتماد التحليل السيمي ولكن حاسوبياً، كما يمكن حوسبة تحليل الجمل عند ج م آدم، ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2009، ص144 و155.

- يمكن ملاحظة الحوسبة وتحليل الخطاب والتداولية والترجمة في عمل متكامل؛ ولذلك فقد نقاء التخصص بريقه، ليحلّ محله تكامل المعارف، أو على الأقل حاجة التخصص الواحد إلى ما يعضده

والفهم بموضوعية تتجاوز كل مظاهر الذاتية انتقاءً وشموليةً¹، كما تتجاوز مظاهر التجربة الفردية²، إلا أنه يكرس التجريب والقياس³، ويفعل المقارنة، بما يعيدنا إلى جمالية الطرح البشري من ناحية، ومن أخرى يعطي مقارنة تجمع بين التحليل الحاسوبي والتأويل البشري، ليبقى نموذجاً ينحو إلى القبول بالكيفية التي تجعل منه منهجاً من مناهج تحليل الخطاب قائماً على الكفاءة الحاسوبية والكفاءة البشرية معاً.

ما يبدو لي في هذا المقام -حفاظاً على التجربة الفردية، وبحثاً عن الموضوعية- هو صورة منهج لتحليل الخطاب فيه لمسة الإنسان والآلة معاً على مستويات تصاعدية، تبدأ بالتعليم وهو أدناها باتجاه القراءة وهو أعلاها، وبين النمطين يسر وسهولة يقتضيهما التعليم والتعلم، وإبداع وتفرد وتميز، وكل ذلك من مقتضيات العلم والنقد والكشف.

يخضع المظهر النصي لعمل الحاسوب وبرامج المعالجة، بما يبيح فعل التحليل فلتأويل والقراءة. ولذلك يأخذ هذا العمل منحى تعليمياً ذا استراتيجيات تربوية، ومنحى آخر ذا استراتيجيات عالية، وكلاهما يشتغل على

¹ - الانتقاء قيام المقارنة على عنصر دون غيره في خطاب بذاته. والشمولية تعمل على تقصي التحليل في الخطاب كله.

² التجربة الفردية ميزة لمقاربات ما بعد الحداثة وما بعد الحداثة، وأساسها مقارنة متفردة لا تعتمد نموذجاً سابقاً لا محاكاة ولا مشابهة، فلسفة اللامنهج.

³ التجريب والقياس ميزة لمرحلة الحداثة، وهي تقوم على محاكاة نموذج سابق، تأخذ منه السلامة المنهجية وشرعية الوجود، بمعنى إثبات الشيء على نموذج سابق.

التحليل والقراءة والتأويل عملاً بمبدأ: (فهم/ استيعاب/ إدراك مجرد/ إدراك عال). وعلى هذا يبدو في هذا النمط التحليلي تنوع معرفي وإدراك متميز يعطيان معرفة متكاملة في وحدة النص/ الخطاب بسياقاته المختلفة ومقاصده بالتعيين والتحديد.

خلاصة:

على هذا؛ تنتهي السببية عند بحث المعنى المحمول في ثنايا الخطابات، حيث تفيض في المضامين والمحتويات، كما تنتهي عند المنهج في صورة الإدراك عند المحاكاة وفي صورة الفهم والاستيعاب عند القراءة والتفسير والتحليل والتأويل. وقد حاولت في هذا العمل التوفيق بين تفسير الظاهرة الأدبية بين قدم النصوص وحدثة فهمها، عملاً بمبدأ التداخل المعرفي والبيني بين المعارف بما يصنع تشكيلاً معرفياً يعين قدر المستطاع مواطن التماس ومواطن التباعد ومواطن التقارب بين المعرفي والبيني، وهما ظاهرتان لا يخلو منهما نص ولا يغيبان في تحليل منهجي بمجرد الجمع بين البنى الحاملة ومحمولاتها الدلالية. ولا يخفى في هذا التصور معنى المعرفية الذي يتقاطع ويتماس معها إلى حدود التماهي والانصهار.

فالسببية تداخل المعارف في فهم وتعيين الحقائق والظواهر، على مستوى الموضوعات ومناهج دراساتها ومناقشاتها، وفي تحليل الخطاب حدثت تحولات بالجملة من البنى اللسانية إلى محمولاتها المضمونية، وفي المجالين معاً تجلت صور المناهج وطرق الإدراك والكشف والمقاربة. من

هنا؛ صار ممكنا تحصيل مفهوم الفكر البيني من خلال مجالات اشتغاله نظريا وإجراء تطبيقيا، وهو ما ارتبط بالتخصص في علاقته بالتخصصات الأخرى وموضوعاتها ومناهجها ومقارباتها، وصار كل ذلك مهدا يبيح ممارسة الفكر البيني وفهمه بوصفه تكاملا للمعارف في إدراك الحقائق النصية والمعرفية، بل صار للبينية ذلك البعد الذي يتجاوز نقاء التخصص إلى المعرفة المركبة والمعقدة، وهو ما حدث بفعل الحاجة والضرورة من جهة، وبفعل الفكر البيني وتكامل المعارف في الثقافة الإنسانية جميعا. ولعلّ بينية الحوسبة هي البينية المركبة التي تلتقي فيها كل المعارف البينية في تقصّيها للظواهر اللغوية والخطائية إن على مستوى الخطاب في اللغة الواحدة أو الخطابات في اللغات الكونية بالتقابل والترجمة وتبادل المعارف درايةً ورويةً.

المعلم الثالث : مناهج تحليل الخطاب

من التجريب والقياس (التقييس والنظر) إلى التجربة الفردية

مقدمة :

في تعاملاتنا اليومية نجد صعوبة في فهم سلوكيات ومواقف غيرنا إذا كنا نقيم حياتنا على مبادئ ثابتة، نُحترَم وتُحَاكَى ويُسعى إليها أولا وأخيرا، وغيرنا يقيم حياته على التغير والتبدل وفق الظروف والمعطيات والمصالح؛ ففي النمط الأول قياس على المُجَرَّب الذي ثبتت إلى حد ما صلاحيته ويُعتَقَد اتزانة ومعقوليته لموافقته الأصل المحاكى، ويكون في اتباع آلياته ووسائله المنهجية والإقناعية ما يحقق نموذجا ما، فيه من التكرار ما فيه ومن الاختلاف ما فيه، ولكنه في جميع الحالات يأخذ استقامته وشرعيته من نموذج أو نماذج سابقة، وهو قائم على التجريب والقياس، الساعي إلى الانتظام والثبات، بل إلى النظام.

وفي النمط الثاني صياغة وبحث من غير نموذج سابق، بل يجري مجرى الانتقاء الذهني لعناصر تشكّل تركيبا بذاته¹، ويعطي قراءة مستقلة لا تستند إلى آلية ولا إلى منهج بنمط صوري ما، إنها التجربة الفردية

¹ ينظر: إيزر، التخيلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص10. الانتقاء والتركيب يتمان بالكشف الذاتي.

البحث، التي لا سند لها سوى المعارف السابقة في وضع مدمج، وما تثيره من استجابات إليها في البنى النصية بما يقوم دليلاً عليها، ولها في البنى المعرفية نسيج يلائم بعضه بعضاً، فيظهر شكلاً متسقاً مترابطاً، أو يبدو كذلك، وهو يبحث في أبعد الصور الممكنة بما يحقق التميز والعمق، ولا ننكر أن يتحققا- التميز والعمق- مع النمط الأول، إلا أن الثاني يجري رأساً على المحتويات والمضامين من غير نموذج سابق ولا نمط يُحاكى، وإن ظهر عليه التغير والتبدل وحتى الاضطراب. ويجري الأول على ثبات المنهج وتتبع مدارات النصوص بحثاً عن بناء مقارنة فيها سمات غيرها بوصفها نموذجاً أو نماذج سابقة تأخذ منها الشرعية وتأخذ منها الانتماء.

على هذا؛ يأتي التقابل بين النمطين محققاً التشظي والتباعد والاختلاف الإدراكي معرفياً ومنهجياً، ويأتي الجمع بينهما في رؤيا واحدة إما مخيلاً لكل أمل في حصول توافق بين القراءة ومتلقيها، وإما مستوعباً لفهم كلي، وهو نمط ثالث. ويندرج النمط الأول في مرحلة الحداثة، والثاني في مرحلة ما بعد الحداثة، بينما الثالث في مرحلة ما بعد الحداثة.

التجريب والقياس في مقاربات مرحلة الحداثة:

ممارسات ذاتية فردية وتجريب قابل للقياس..

تقوم البنيويات والأسلوبيات والسيمائيات على تجريب مقاربات سبق تطبيقها على نصوص سابقة، وهي بذلك تتأسس على القياس والنظر¹ من حيث المشابهة في المقاربة ومداراتها مما في ذلك المداخل النصية العامة المشتركة والمداخل النصية الخاصة² التي تميز كل نص عن باقي النصوص الأخرى، ومدار الفعل والممارسة والمقارنة.

وعلى هذا تكون صورة التجريب والقياس والنظر على التشابه والتكرار³ بغرض الوصول إلى محاكاة النموذج، وتحقيق التميز والاختلاف بجودة التطبيق. وبين المدى الأول-التجريب والقياس- والمدى الثاني-المحاكاة والتميز- تقليد وأتباع يُراد منهما تحقيق صورة تنحو إلى التميز بوصفها مقاربة عمدة لنص خاص أو لنمط خاص من النصوص.

¹ - ينظر: محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 1999، ص

² ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ص19. والعام المشترك، الصوت والمعجم والتركيب وهي في كل النصوص، والخاص من المداخل سمة بنيوية أو أسلوية وسيمائية في نص دون سواه.

³ ينظر: جيل دولوز، التكرار والاختلاف، تر: وفاء شعبان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص48، وخصص 83-89.

والحق أنّ هذه النمطية سرت على مقاربات الحداثة، وكلّها تقتضي التجريب على منوال سابق.

أدّى هذا التجريب قياساً ونظراً إلى تكرار يّين على مستوى الشكل مقارنةً وبنية نصية؛ فعلى مستوى المقاربة، فإنّ لها مدارات قارّة، والبنى النصية لها مكونات عامة، فتكون المقاربة في الأخير صورة عن سابقتها لا تختلف عنها إلا في اختلاف طبيعة النص أو اختلاف المؤلفين بما يحقّق في آخر المطاف تكراراً في المقاربة قد يصل حدّ الاستنساخ، وهو ما يقتضي النظر في تطويرها والتفكير في مقاربة تختلف عن سابقاتها لتحقيقها اختلافاً في القراءات شكلاً ومضموناً¹. وهو ما لم يحدث إلا نادراً، في مقابل التكرار الذي يحدث دوماً مع كلّ مقاربة، الأمر الذي لم يجعل الاختلاف ظاهراً بقدر ظهور التكرار.

إنّ الحديث عن التميّز والاختلاف درءاً للتشابه والتكرار، وبحثاً عن التجديد والتنويع والابتكار بعيداً عن التقليد والاتباع هو الذي عجّل بالانتقال إلى مرحلة ما بعد الحداثة التي لم يربطها بمرحلة الحداثة إلا الممارسة الذاتية والفردية إنتاجاً مع المؤلف، وقراءةً ومقاربةً مع القارئ؛ إذ كلاهما ينسج على غير نموذج سابق ممارسةً فردية، إلا أنّ الحاصل في

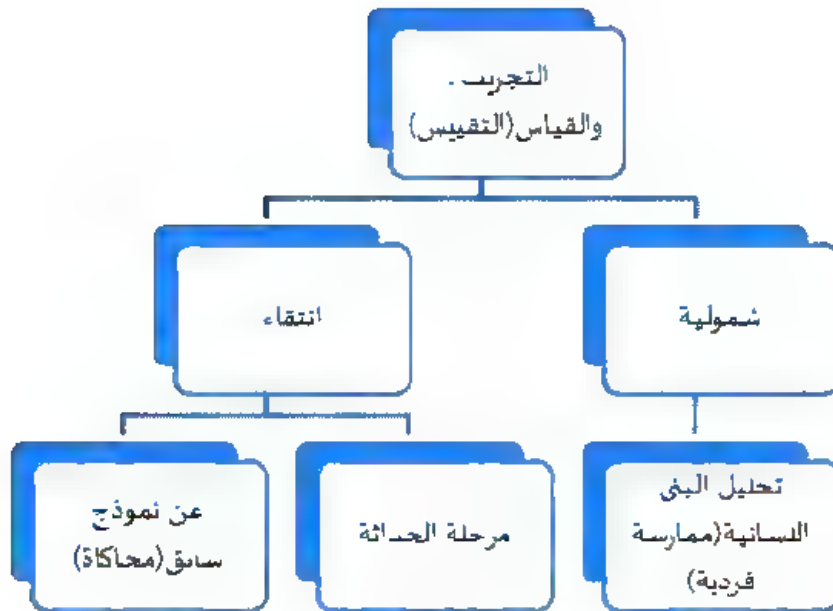
ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص 15-18، متحدثاً عن النموذج المقلّد والنموذج شبه الأصل والنموذج الأصل والفروق بينها على أساس التشابه والاختلاف في شكل المقاربة ومضمونها.

المنجز النقدي المعاصر أعطى على امتداد زمن طويل التجريب والقياس والنظر والمقارنة منهجيا على مناويل سابقة، ليكون وجه التفرد متعلقا بالنصوص في تفرداها وفي خصائصها التي تنم عن اختلاف يميّزها عن غيرها من النصوص. ولو أنّ القارئ نظر في البنى اللغوية والسردية والإيقاعية، وقاس وجودها في نصوص على وجودها في نصوص أخرى، وأجرى اللازم من المقارنة، لأدرك وجود نمطية تتكرّر بذاتها، وأدرك بصعوبة الاختلاف بين المقاربات وتتاؤها من حيث النسب والميزات والسمات الأسلوبية، أو العلامات السيميائية عل تشابه طبيعي في المكونات البنيوية.

وعلى هذا، فليس غريبا أن يُلحظ تكرار حديث المستويات في التحليل البنيوي، وتكرار سيمياء العنوان والتناصر والتشاكل والتباين في التحليل السيميائي، وكذا تكرار التكرار والميزات الأسلوبية والكلمات المفاتيح والانزياح في التحليل لأسلوبي، على تماه يّين بين بعضها والبعض الآخر؛ كحال التكرار أسلوبيا، والتشاكل سيميائيا، أو حال الانزياح أسلوبيا والاستبدال سيميائيا تناسبا بين التحليلين. وهو الوضع الذي عجل بظهور مرحلة ما بعد الحداثة التي اعتمدت فيها التجربة الفردية.

ولعلّ في هذا الوضع ما يدعو إلى نمطية ابتكار مفادها الجمع بين المقاربات تفاديا للتكرار وبحثا عن الاختلاف؛ من هنا جاءت الأسلوبية السيميائية مع ميشال ريفاتير في نظري. وكذا البنيوية الأسلوبية، وهذا نمط

يستقرّ على مخرجات الحادثة. والنمط الثاني يجمع بين مخرجات الحادثة ومخرجات ما بعد الحادثة ليُعلن ظهور مرحلة لاحقة في تحليل الخطاب، وهي مرحلة ما بعد الحادثة ولتقارن أن يتأمل الجمع بين البنيوية والتشريحية كما فعل الغدامي، أو التركيب كما فعل محمد مفتاح أو اعتماد رؤية فردية تعتمد السيمياء البصرية كما فعل محمد الماكري كما سيأتي بيانه.



التجريب والقياس في ممارسات تحليل الخطاب وإجراءاته النقدية:

في التجربة الغربية الفرنسية بالتحديد يأتي عمل جون ميشال آدم¹ (J.M.Adam) وعمل كاترين كاربرات أوريكيوني (C.K.Orécchioni)¹

¹ - textes types et prototypes, récit, description, explication, et dialogue, Nathan, Paris, 4^e édition, 2001, p 21 28

في هذا الإطار قدم الباحث صورة تحوّل الخطاب إلى نص ومدارات المقاربة اللسانية التي تجري على البنية اللسانية ومحمولها الدلالي. في لسانيات النص، نحو منهج لتحليل لخطاب الشعري، عالم

في صورتيهما اللسانية التي تشتغل على مجمل الخطابات الأدبية وفق نموذج التواصل برؤية شمولية تأتي على كل مكونات النص لتجيب في نهاية المطاف عن سؤال الفهم والإدراك القائم على النصية وجودة بناء الخطاب². إن الذي يتبادر إلى الذهن هاهنا هو وجود نموذج للتطبيق، ومراقبة مدى نجاحه بعد التجريب والقياس. لا يخفى المد اللساني الذي أثر في مقاربات الحداثة النقدية، ولذلك يجد القارئ تناوبا للمعرفتين اللسانية و لنقدية في هذا المقام، لا شيء سوى أنها مرحلة مهدت لمراحل بعدها تخلت عن التخصص الدقيق باتجاه تكامل المعارف وتضافرها.

وكذلك فعل هنريش بليت في لدرس النقدي الغربي في كتابه البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص³؛ فقد وقع التركيز على الانزياح بوصفه تركيبا بلاغيا وسمة أسلوبية تركيبية ودلالية ثم علامة سيميائية، لتكون المقاربة المعطاة نموذجا أصيلا يمكن محاكاته لتحقيق صورة

الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2009، لأحمد مداس مناقشات لمحتوى الكتاب من منظور

لنصية في اللسانيات لنصية، تنظر ص 15-17

¹ - L'énonciation de la subjectivité dans le langage librairie Armand Colin Paris, France, p17-30

وفيها مناقشات لنموذج التواصل الجاكوبسوني مع تعديله بالنظر إلى نموذجي التشفير والتأويل واستثمار الكفاءات اللسانية وشبه اللسانية والإيديولوجية والثقافية وكون الخطاب، والسعي وراء أهداف الخطابي الذي يشتغل على مظهرات ومعتقدات وسلوكات المتلقي. ينظر للزيادة أحمد مداس، لسانيات النص، ص 56-58.

² ينظر: أحمد مداس، لسانيات لنص، ص 3-7.

³ ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو منهج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، لدر البيضاء، المغرب، 1999.

التكامل المعرفي منهجيا والشمولية في الطرح والمعالجة بنيويا، وهو ما لم يصرح به تصريحه بالبلاغة والأسلوبية والسيمياء والحجاج. وقد يبدو حديث الانزياح موجّها إلى الانتقاء ولكنه الانزياح الذي يطال الصوت والمعجم والتركيب والنص، بما يرفع النموذج إلى الشمولي العام بدل الانتقائي الخالص والخاص.

وفي طرحة يعطي النموذج التركيب النحوي صورا سيميو-تركيبية تتعلق بالصّور السيميو-دلالية والصّور التداولية، وهذا أساس النموذج المعطى لتتصل به صور فونولوجية وصور مورفولوجية وصور دلالية على أساس التشابه والمجاورة، وصور أخرى نصية، وهو ما يعطي البعد الشمولي على الرغم من قيامه على انتقاء المكونات النصية¹.

لم يأت هذا النموذج إلا من بعد مسح المقاربات السابقة والتأكد من السلامة المنهجية الجامعة بين الأسلوبية والسيمائية، والعمل على مقارنة البنية النصية كاملة، وقياس بعضها على بعض، لاستنتاج هذا النموذج القابل للقياس والتجريب تعليما وإبداعا على أساس الانزياح.

وفي عمل مجموعة انتروفارن في التحليل السيميائي للنصوص² النهج ذاته القائم على الشمولية في الطرح ومعالجة كلّ مركبات النصوص والخطابات ممثلة في السردية وبرامجها ومؤثراتها وموجهات التلفظ،

¹ ينظر السابق، ص13 وص65 66 وص70 71 وص76 77 وص95 وص99

² Groupe d'Entrevernes, analyse sémiotique des textes, introduction, théorie, pratique, presses universitaires de Lyon, éd du seuil, 1997

والمركب الخطابي والأدوار والموضوعات فيه، مع مناقشات للتشاكل ووحدات الدلالة والمربع السيميائي. وفي هذا شيء من الشمولية التي تقتضيها الدراسة التي تروم الإحاطة بالنص من جهة. ومن جهة أخرى، نمطية التقييس وإمكانية التجريب بدليل سلسلة التمارين الإجرائية التي يقاس نجاحها على جودة التطبيق بالمقارنة والقياس بعد التجريب¹ على أساس تقديم نموذج يُحاكى، ويُقاس عليه من منظور سيميو سردي خالص.

وفي التجربة العربية؛ ظهر كتاب دليل الدراسات الأسلوبية²

نموذجاً نقدياً يقدم نمطاً قابلاً للقياس يجمع بين التحليل الأسلوبي والتحليل النفسي. وهو جمع قديم بين أعلى مناهج التحليل السياقي وثاني مناهج التحليل النسقي، وهي الفكرة التي استشرفت الوجود البنيوي التكويني في صورته العربية، سواء أكانت بقصد أم من دونه، ولكنها

¹ -ibid, p68-100-145

² جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص 19-22. وينظر للتطبيق: أحمد مداس، لسانيات النص، ص 140-142-143-151-153-155-156 وفيها تطبيق مدارات هذه المقاربة في شقها الأسلوبي الشعري على التركيب الشعري، مع اعتماد تداخل الأجناس وتحول النص الشعري المحض إلى نص يروي حكاية ذات متتبعة الهندسة التركيبية ودلالات الإغراق في السلبية أو الانتقال من وإلى اسلبية/الإيجابية في الشعور والإحساس مقارنةً بالقول الشعري. وتنظر ص 192 و 193 لمراقبة التحالف الزمني بالانحسار والاتساع النفسيين، وتعالقهما بالحسيين السحري والمأساوي تبعاً للحدث والصراع الدراماتيكي في بنية نص.

حققت في نظري شيئا مقبولا من المقاربة التي تهتدي بالموضوعية النصية والذاتية في التحليل والمقاربة؛ مما أعطاها بعدا منهجيا أهلها لتكون نموذجاً للتحليل يصدق على النص الشعري والسردى معا وكلاهما - في مرحلة لاحقة - كما على السردية والشعرية معا؛ أي سردية الشعر وشعرية السرد مع منهج يمكن تجريبه، وقياس لاحق المقاربات على سابقها.

وظهر كتاب كمال أبوديب الرؤى المقنعة¹ مع مرحلة الحداثة العربية باعتماده منهج التحليل البنيوي على الشعر الجاهلي، محققاً قفزة نوعية في ربط الأصالة بالمعاصرة، جمعا بين النص العربي القديم والمنهج البنيوي في صورته الحديثة التي أعطت مقاربة غنية رفعت قيمة الملفوظ الشعري العربي، لتحقق من خلال قاعدة الضبط الذاتي أبعادا معرفية لم تسجلها الدراسات القديمة ولا كتب الشرح التي اعتنت بالملفوظات من غير وضعها في السياق الإنساني للإنسان العربي قبل الإسلام، وإن تمّ الوضع، فإنّ الغرض منه لم يتحقق، لأنّ الشرح يضع القيد قبل التصور ممثلا في القصد والسياق السابق للتلفظ، فلا يقول النص إلا ما تمّ تقريره من قبل.

قد يظهر الموضوع هذا الطرح تجربة فردية لم تُسبق - وهي كذلك -، ولكنها ممارسة فردية عن نماذج غربية سابقة، زادها أبو ديب غنى بمعرفته

1- ينظر: كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

السيمائية التي لم يخبر عنها في كتابه، ولكنها تظهر في ممارسته الإجرائية، الأمر الذي أعطى لمحتوى الكتاب قيمة أعلى. وفي فعله هذا لم يخرج عن مخرجات مرحلة الحداثة باعتماده البنيوية منهجا منفردا، أو البنيوية والسيمائية منهجا مركبا، وللمنهجين معا في الثقافة العربية نماذج سابقة في الثقافة الغربية، ولذلك يبقى هذا النموذج نسخة عربية غير مسبقة، لتكون نموذجا تحاكيه كل دراسة لاحقة، ليقع القياس بعد التجريب.

لقد قدّم كمال أبو ديب نموذج الشمولية الطاغية والتحليل البنيوي النموذجي الذي يجري على مجمل مكونات النص بفعل التوجه البنيوي الذي لا يُغفل مكونا لوجوده بالقوة في التشكيل العام للنصوص. وبناءً على ذلك الوجود، يكون له الدور اللساني الذي يؤديه في البنية اللسانية النصية، والدور البنيوي الوظيفي الذي يؤديه داخل التركيب العام للمكونات النصية، ومن ثمّ يخرج إلى طبيعة القصائد من وجهة نظر البنى النصية الكلية مجردة عن ناظميها.

وفي الدرس السيميائي المعاصر قدّم عبد المجيد نوسي نموذجا للتحليل السيميائي الشمولي للخطاب الروائي¹، يأتي على عوامل التواصل، والعنوان والبرامج السردية أساسيّها ومساعدتها، ليخلص إلى الربط بين

¹ - ينظر: عبد المجيد نوسي، تحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية-التركيب-الدلالة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1423هـ/2002م. وللتوسع ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج لتأويل، مركز الكتاب لأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص 86 وما بعدها.

التركيب السردى والعمليات الدلالية. وفي عمله هذا موافقة لدراسات سابقة عربية وغربية توجب المقارنة والقياس، لأنها تقوم أساساً على التجريب والتقييس على مناويل سابقة في الثقافتين الغربية والعربية، رأى فيها شيئاً من التفرد والتميز بناءً على تفرد وتميز النصوص المطبّق عليها في الإجراء، ويمكن مقارنتها بمنتج سيميائي آخر من المنبت نفسه، حين ننظر في كتاب سيمائية السرد لمحمد الداوي¹؛ الذي يقدم نموذجاً يتلاءم وطبيعة النصوص المطبّق عليها، بمنهج سيميائي يروم بيان فكرة التطويع في علاقات النصّ بالقارئ لأهداف وغايات يقررها محمول النصوص السردية. ولأنّ تجربة نوسي ومحمد الداوي في التحليل السردى السيميائي من نموذج أصيل أو شبه أصيل²، فإنّها تقوم مقام النموذج الذي يمكن محاكته، بالتشابه في الطرح المنهجي، كما يمكن مشابته بالطرح المنهجي عند غيرهما ممن سبق في التصنيف في هذا الإطار المنهجي والمعرفي. ولا شكّ في اختلافهما، لأنه الاختلاف الذي يصنع التنوّع ويبيح المعرفة.

إنّ الظاهر هاهنا ممارسة فردية في إطار منهج يفرض آلياته ومستويات التحليل فيه، ومهما اختلفت النماذج الأصيلة والمقاريات المرموقة؛ فإنّها لا تقوى على أن تكون إلاّ تجريباً وقياساً على سابق، ولكن من غير

¹ - ينظر: محمد الداوي، سيميائية السرد، بحث في الوجود المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009

² - ينظر: أحمد مداس، قراءات في النصّ ومناهج التأويل، ص 86 وما بعدها مناقشا آليات التحليل عند الباحثين.

ضرورة التطابق معه، لأنّ الهدف هو التنوّع داخل حقل المنهج، وتحقيق الاختلاف الذي يسهم في التأسيس للنماذج الأصيلة وشبه الأصيلة، وأما المشابهة التي تكرّس التكرار فهي لغير مثل هؤلاء من الباحثين.

وفي إطار المدرسة الفردية قدّم عبد الملك مرتاض في كتابه التحليل السيميائي للخطاب الشعري¹ قراءة مركّبة تروم الشمولية في الطرح، وتعالج مكونات النص، ولكنها قراءة تتبّع المداخل النصية وما يمكنه الاستجابة للتحليل السيميائي من تشاكل وتباين ومماثل وقرينة ورمز وحيّز. وعلى الرغم من فكرة التركيب المنهجي، وملاءمتها للتحليل إلا أنّ هذا الطرح لا يعدو أن يكون ضمن إطار التجريب والقياس، على ما للرجل من فضل ودراية وثمّكن لا يمكن بأي حال تجاهلها، وهو كذلك هنا يقدّم نموذجاً أصيلاً في المنجز النقدي العربي يمكن القياس عليه، كما يمكن قياسه على المنجز النقدي لغربي، بفعل التجريب الذي يقتضي أسبقية المنوال.

وقد ركّز على حداثة الطرح حيث الجمع بين المعرفة اللسانية والسيميائية لإخراج قراءة نقدية تنحو فكر التركيب المنهجي²، وتتيقّد

¹ - ينظر: عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجلي، دار الكتب العربي، الجزائر، 2001.

² - ينظر السابق، ص 7-9، وجاء حديثه عن الرؤية الحداثيّة في ص 18 منه وكان قد سماها سابقاً ص 9 باصطناع القراءة المركبة وله في قراءات أخرى مقاربات تعتمد التجربة الذاتية - وقد تقيّد فيها بالإطار الزمني لما بعد الحداثة، لمحو: أ/ي، قراءة بنيوية تشرّحية لقصيدة أين ليلي.

بصرامة العلمين معاً، وهما يبحثان في الكشف عن جمالية النص وخصائص نسجه¹. كما ركّز على الالتقاء من حيث هو كشف ذاتي لدى القارئ؛ فكان التماثل والتباين مستوى أول، فالحيز والتحيز مستوى ثان، قبل أن يجعل من المماثل والقرينة مستوى آخر يجري فيه على تتبع المعجم والتركيب بما يوحي بدلالات تتطلب عمقا في الطرح وإشارة حتى تُفهم وتُدرك كما ينبغي لها أن تُدرك وتُفهم. فإذا ركبنا بين هذه المستويات الانتقائية لا شك أننا سندرك أن شمولية في الطرح لم يعلنها الباحث كما أنه لم يعلن الالتقاء، ولكنّ الحاصل لا يلبث أن يميّط اللثام عن وجود مكتسبات لسانية سابقة وأخرى سيميائية سابقة فيهما من الصرامة والتقيّد ما يلزم التعامل بهما أن يقيس على منوال سابق ويجرب ويقارن ويحكم على مدى نجاح الممارسة واستجابة النص لها، خاصة في الدرس النقدي العربي المغاربي الذي انفتح على نظيره الغربي.

وفي الدرس الأسلوبي المعاصر قدّم سعد عبد العزيز مصلوح في كتابه في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية² نموذج التفسير الكمي

¹ - ينظر السابق. ص 15-22. نهج هذا النهج محمد مفتاح في المغرب، في كتابه: في سيميائية الشعر القديم، مستعينا بالمعاصرة الغربية في إعادة قراءة التراث الشعري الأندلسي على سبيل التجريب والقياس (سيميائية-حدث)، ثم ما لبث أن تحوّل في كتاب تحليل الخطاب إجراء قبل أن يتجه رأساً إلى بناء المنهج في مرحلة ما بعد الحدث وفق متطلبات التجربة الفردية كما سيأتي في هذا البحث. وقد نهجا معا في مقاربات عدة التجربة الفردية بعد مرحلة التجريب والقياس.

² - ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/2002م.

للظاهرة الأدبية الجمالية، بفعل انتقائي ينحو إلى الشمولية؛ إذ يبدأ بالخاصية الأسلوبية إحصاءً، معينا مقاييس الوصف، مع تحديد النتائج وتحليلها كما يفعل الأسلوبيون، وهو ما يؤكد فكرة التجريب والقياس في مقاربات مرحلة الحداثة التي منها الأسلوبية في صورتها وأنماطها.

قد يكون في تتبع مصلوح لظاهرة الأسلوبية¹ شيء من الانتقاء، ولكنه الانتقاء الذي يجري على علاقاته بباقي الظواهر الأسلوبية الأخرى المشكلة للنصوص ذاتها، بما يجعلها تنحو الشمولية في الطرح على أسس انتقائية.

وبشكل لافت قدّم محمد الماكري، في الشكل والخطاب، مدخل إلى تحليل ظاهراتي² شكلاً للمقاربة على أساس السيمياء البصرية، من حيث الاعتناء بالفضاء النصي بياضاً وسواداً وتوزيعاً³ لعلاقة ذلك بالذات وأحوالها. ذلك أنّ الكتابة وصف للحال ومداواة لها. فيكون تحليل البنية الخطية فيه ما يصنع على الأقل أفقا للتوقع يخص الظاهرة الشكلية في علاقتها بالكتابة صورةً وخطاً.

¹ - ينظر: أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، ص 93 وما بعدها، متحدثاً عن الآليات المنهجية والإجرائية عند سعد مصلوح في هذا الكتاب تنادى للتكرار، وتأكيداً على إضافة فكرة الشمولية والانتقاء من منظور التجريب والقياس في مرحلة الحداثة

² ينظر: محمد الماكري، لشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط 1، 1991

³ ينظر السابق، ص 102.

إنّ الذي دأب عليه هنا هو اعتماد السيمياء كما أسّس لها بيرس (C S.Pearce) وفي فعل تواصلية تبليغي إعلامي¹ حيث الموضوع مباشر ثابت أو متحرك دينامي، بما يعطي طبقات تبدأ بالمباشر وتنزل المؤول الدينامي الأول والثاني، وينتهي عند المؤول النهائي الأول على أساس الافتراض (abduction) فالمؤول النهائي الثاني الاستقرائي (induction) وأخيرا المؤول النهائي الثالث الاستنتاجي (deduction)، وتجري العملية التأويلية على تقصي الظاهرة بمنظور سيميائي فيه من المنطق ما فيه، وفيه من الطاقة ما فيه؛ ذلك أنّ المسألة متعلقة بتمثيل الظاهرة² في فعل الكتابة وإعادة إنتاجها في فعل القراءة³. وهذا مدار المقاربة والمنهج.

وأما مدار المداخل النصية والسّمات البصرية فقد أقامها على نظرية الأشكال (الجشطات / gestalt)، فجعل من حاسة البصر وسيلةً للإدراك والقراءة والفهم، تنقضي أثر الشكل من حيث العلاقة الجدلية بين الكل والأجزاء، ثم ينظر في العمق والشكل مساحةً ومسافةً وألواناً⁴، وفق

¹ - ينظر السابق، ص 55-56

² - ينظر السابق، ص 41. وقد تعيّنّت سمات الظاهرة في الأولانية أي وجود الشيء أو الذات في ذاتها، وفي الثنائية بوجود الشيء وجوداً فعلياً متجسداً، وفي الثالثة بالوجود المتوقع المعلوم بقانون يضبط ذلك الوجود. تنظر ص 42-43 منه.

³ - ينظر السابق، ص 9، حيث ركّز على السيميوطيقا وعلى البلاغة البصرية، بوصفهما مقاربتين للتجربة البصرية في الإدراك.

⁴ ينظر السابق، ص 21.

منظور حدسي مباشر¹. وتُعتمد معايير القرب والمُشابهة والتسلسل بقوانين الصغر والانتظام والاختلاف والبساطة²، وعلاقة كل ذلك بالتموضع في الفضاء.

بهذا التصور الظاهراتي للشكل الكتابي لبنية النص، يمكن للقارئ أن يصنع أفقا للتوقع تأويلا مجملا، يتحقق معه المحمول الدلالي الذي يقدمه الشكل بصريا قبل أن تقدمه العلامات مدلولات في طبقات استلزامية على قدر نظر القارئ ومعارفه.

إنّ الجمع بين الظاهراتية والسيمية والتأويل والحدس من جهة، وبين الإدراك البصري للأشكال في الفضاء المعطى، وعلاقته بالمعايير والقوانين السالفة، توليفة منهجية لمقاربة حدسية تنتظر التصديق أو التقويم أو العدول عنها إلى غيرها. وفي جميع الحالات تعطي هذه العملية ممارسات ذهنية إدراكية تنبأ بالمضامين من خلال أشكالها المرئية.

في هذا الطرح ملامح التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة، ولكنها تمتد إلى الخلف باعتمادها صورة التجريب من حيث هي اقتراح أو صورة أو نمط يمكنه استجلاء وتقصي الأشكال والبحث في مدلولاتها وفق معايير بذاتها. فإذا اعتمدنا نظرية القراءة؛ فإنها-أي المقاربة- المقترحة لا تتحقق معها معطيات التجربة الفردية. وإذا اعتمدنا الظاهراتية والإدراك

¹ - ينظر السابق، ص 19.

² - ينظر السابق، ص 23-27.

الحدسي والحسي القائم على البصر، فهو جمع بين مقدمات المدرسة الألمانية زمن الحداثة، ومقتضى الدرس السيميائي زمن الحداثة أيضا، وهو بذلك يذهب إلى مخرجات الدرس السيميائي الأمريكي، ومنطق الأشياء بالتعبير البصري لدى بيرس. وعليه؛ يكون الحاصل شكلا لمقربة فيها رؤية ألمانية بآليات أمريكية، ولكنه في نظري مرتبط بمرحلة الحداثة لاعتماده معايير قابلة للتجريب والقياس، وإن كان في هذا الطرح بعض ميزات التجربة الفردية التي تُعنى برؤية فردية وخاصة. إنه -حسب رأيي- يشبه كثيرا ما فعله مرتاض في كتابه "تحليل الخطاب الشعري".

وعلى العموم؛ فإنّ التعارض شمولية/ انتقاء لم يغط فكرة التجريب والقياس والنظر بمقارنة المقاربات على المناويل المعطاة للوصول إلى صلاحية التحليل والمقاربة على كلّ أشكال النصوص إلا أنّ الحاصل أظهر بوضوح النمطية والتكرار والتشابه، وقلما يبدو الاختلاف إلا في صور ضئيلة لا يدركها إلا الناظر المتنعم؛ فبدأ التكرار مملا، وبدأت ناره تخبو شيئا فشيئا حتى فقدت جذوتها. وصارت الفائدة خارج نموذج التعليم لا تعطي ثمارا، ولا تبلغ غايةً، لذلك بدأ التفكير في مرحلة أخرى بنموذج أو نماذج أخرى تنفي التكرار والاستنساخ، وتؤسس للاختلاف الذي يصنع المعرفة والتّمييز والتّفرد. وهو ما حصل مع مقاربات ما بعد الحداثة .

إنّ النماذج التي تمّ عرضها كلّها نماذج أصيلة، وهي مقاربات تقاس عليها المقاربات الأخرى؛ ولذلك جاء بيان حالها -على تميزها- أنها قامت على التجريب والقياس والمقارنة. وقد جاءت إلى الساحة النقدية من منظور بيان شقّ الطريق، وتعيين آليات المقاربة في إطارها الخاص الذي يتعلّق بنصوص بذاتها لا بغيرها. بمعنى هي مقاربات ترسم كيفيات بناء التعامل مع النصوص، بتوافق بين مكونات البنى النصية ومناهج دراستها، لتكون صورة تستنسخ في كلّ حين ومع كلّ نص، بدليل اختلافها فيما بينها وكلها متقاربة من حيث الطبيعة المنهجية أو من حيث الطبيعة الزمنية (مرحلة الحداثة).

التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة:

ممارسات فردية ذاتية من دون نموذج سابق

درءاً للتكرار وطلباً للاختلاف والتنوّع المعرفي الذي يولّد المعرفة، وينبذ التقليد ويكرّس التجديد، -وهو ما لم يتحقّق في مرحلة الحداثة ومقارباتها-، ظهر التفكيك ونظرية التلقي والدراسات الثقافية على أساس الرؤى الخاصة عند القارئ المستجيب لمحتوى عناصر مهمة في بنية النصوص؛ فعلى الرغم من الاختلاف النظري بين الألمان والفرنسيين والإنجليز إلا أنهم اتفقوا دون سابق إنذار على تقصّي أثر التجربة الفردية، وشابهم في ذلك سالكو المقاربات التداولية، بحثاً في السياقات والمقاصد والحجاج والتأويل بما يجعل من لعبة الدوال مداخل نصية تتعقّب مصادر

المعرفة بالشك والظن حتى الوصول إلى ما يُعتقد أنه المراد مؤسسا على الذاتية والفردية في الإدراك والتشخيص، وعلى الموضوعية اللغوية ممثلة في بنية الخطابات المنتجة في فضاءات سيميائية متأثرة بكلّ العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية.

في هذا الإطار ينبغي التنويه بالصور المختلفة في المرحلتين؛ ففي مرحلة الحداثة تمّ اعتماد موضوعية لغة النصوص مع تلافي مضامينها وتأخير البحث الدلالي في الدرسين اللساني والنقدي، والعمل على تفسير الظواهر من خلال كيفيات أداء المعاني لا المعاني بذاتها، وفي مرحلة ما بعد الحداثة تمّ اعتماد التحول من البنى اللسانية إلى مضامينها ومحمولاتها الدلالية فردية وذاتية، ثمّ التعرّيج على البنى السطحية تدليلا على جودة الإدراك ولاستيعاب، ليكون العمل قائما على شقي الخطاب في المقاربة - بنى لسانية ومحمولات ومضامين دلالية-، وبينهما التناسب في الاستعمال والتداول بالترجيح والتهميش والبيان والاستدلال والبرهان ربطا بين الشقين.

وإن كان لا يمكن نفي صورة موضوعية لغة النصوص والممارسة الذاتية عن مقاربات مرحلة الحداثة، ولكن الفروق التي سلف ذكرها تجعل ذاتية كل مرحلة تختلف عن الأخرى، والموضوعية اللغوية عامل مشترك بين المرحلتين معا، كما لا يدّ أن تتوقف عند نقطة اعتبار الدراسات الثقافية نقطة مفصلية تفصل بين ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة، لكن

التعامل مع الخطابات بعد مرحلة الحداثة بدا متشابها إلى الحد الذي قد لا يمكن الفصل فيه بينهما - ما بعد وما بعد الحداثة -، ولا يكون ذلك ممكنا في نظري ما لم نرجع إلى فكرة البينية التي تخلت عن نقاء التخصص إلى تكامل المعارف، وهو مدّ معرفي لم يقع الإجماع عليه إلى اليوم خاصة في المنجز اللساني والنقدي العربي المعاصر.

وعلى هذا؛ تكون التجربة الفردية ممارسة نقدية، تنتج مقاربات فيها ملامح الذاتية، وملامح الموضوعية، مرّة على أساس الصراع القائم بينهما عقلا، ومرّة على أساس التكامل الذي يفرض ذاته في كلّ مقارنة عملا بتوافق خصوصية الرؤية، وعلمية الخطاب ولغته، ولو على نحو التفرد والتميّز والاختلاف، وهو ما أريد في مرحلة الحداثة ولم يُدرك في نظري؛ فقد كان الاختلاف ضئيلا يقابل مشابهة عالية في مرحلة الحداثة وإجراءات التجريب والقياس والنظر (التقييس)، في حين كان الاختلاف عال والمشابهة ضيقة في مرحلة ما بعد الحداثة وممارسات التجريب الفردية.

لقد أسّس التجريب والتقييس (القياس والنظر) على الذاتية والتفرد أيضا، أو أريد له أن يتأسس على ذلك، وتمّ النظر في قياس الحاضر على الغائب، فأعطت موضوعية البنية النصية (الخطاب) للممارسة النقدية - المقاربة - صبغة موضوعية عانقت الذاتية والتفرد في فعل التجريب والقياس، بما أنتج شكلا من التكامل بين الرؤية المنهجية ذاتيا وبين

مكوّنات البنى النصية موضوعيا، حتى يبدو فعل الممارسة في حدّ ذاته شكلا موضوعيا أكثر منه فعلا ذاتيا، يأخذ من المناهج شطرا ومن لغة النصوص والخطابات شطرا آخر، وليس له من ذاتية الفرد غير الممارسة. وهنا يبدو بين الذاتية والموضوعية تكامل كبير يحو الحدود التي يرسمها التعارض الذهني بينهما اعتقادا.

وأُسست التجربة الفردية هي الأخرى على التفرد، وتتبع الاستيعاب الخاص عملا باهتمامات القارئ، ومؤشرات البنى النصية، وبذلك تكون المقاربات تروم موضوعية في الطرح أساسها إدراك فردي خالص، يقوم على الذاتية، وهو ما يجعل اشتغاله قائما على حدود التجربة والمعرف المسبقة التي تتعامل مع أكثر الاحتمالات منطقا وعقلانية في تتبع طبقات قراءة تجمع بين كلّ هذه الميزات والخصوصيات؛ فهي ذاتية طاغية لبناء طرح موضوعي في تأويل متنسج منسجم... وهو ما يسوّغ الحديث أيضا عن ذاتية تتكامل مع الموضوعية، لا تعارضها ولا تناقضها لا اعتقادا ولا إجراء وممارسة.

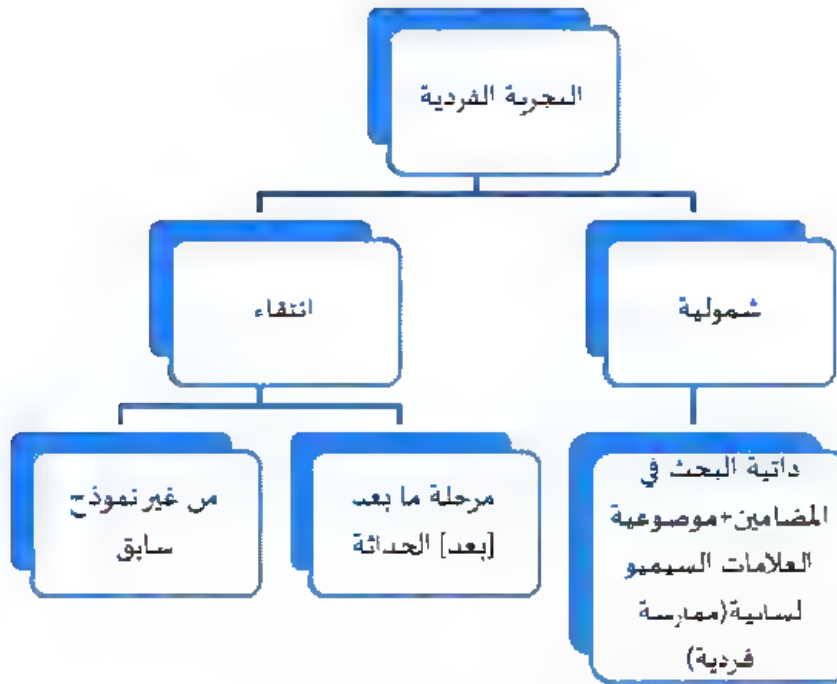
في المنجز النقدي المعاصر إضافة إلى الذاتية والموضوعية حضور قوي لثنائية الانتقاء/ الشمولية؛ ذلك أنّ المقاربات التي نتجها أو نتمتع بالاطلاع عليها لا تلبث أن ترسم في القارئ المطلع صورة الشمولية التي تأتي على مجمل النص/ الخطاب متبّعة مكوّناته البنيوية، وتظهر المقاربات بهذا المنطق شمولية وكلية فيها حديث البنيات العليا والكبرى وحديث النماذج

الفكرية، ومستويات التحليل من الصوتي إلى الصرفي إلى المعجمي إلى الدلالي فالتركيبي، أو تقابل القارئ المطلع مدارات لا تتوقف عند جزء مركّب للنص/ الخطاب دون سواء، لأنّ المقاربة تجري على مجمل النص/ الخطاب بكلّ مكوناته، وهذا الذي أراه شموليةً.

وفي مقاربات أخرى يظهر الانتقاء سمة ظاهرة تتبّع جزئيات بذاتها، يتم التركيب بينها لصناعة كلّ متّسق. وقد يتمّ التعامل مع ظاهرة جزئية تصنع القراءة وموضوعها، ويتوقف الفعل النقدي ممارسة وإجراءً على ذلك. وقد يتمّ التعامل مع ظاهرة بذاتها في أكثر من نص/ خطاب لمؤلف واحد أو لمؤلفين كثر، ويكون محمول المقاربة ظاهرةً مشتركة لسانية أو اجتماعية أو نفسية، أو موضوعاً يحيل على واقع الفرد أو المجتمع يوجب إفراده في مقارنة ما على أساس أنها الأكثر هيمنةً ووروداً في البنية اللسانية أو البنية المضمونية، ليتمّ الانتقال من الانتقاء الخالص بوصف الدراسة أنموذجاً، له أشباهه ونظائره، إلى الشمولية التي تجمع بين الاستعمال اللغوي التداولي أي ظاهرة لسانية، وبين التناول الفكري والنقدي والرؤيوي لظاهرة نفسية أو اجتماعية أو قيمة معرفية ما لدى قارئ أو ناقد أو باحث. أي يجري الانتقال من الانتقاء إلى الشمولية إدراكاً إبداعياً، وإدراكاً قرائياً تأويلياً نقدياً¹. وهو يعطي لثنائية الانتقاء/ الشمولية في

¹ - ينظر: إيزر، التخيلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حيد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998، ص 10. يؤكد

المنجز اللساني والنقدي المعاصر صبغة العموم والإطلاق، لا التخصيص والتقييد، فهي تجري على بعض مقاربات التجريب والقياس كما تجري على مقاربات التجربة الفردية.



التجربة لفردية في ممارسات تحليل الخطاب وإجراءاته النقدية:

في التجربة الغريبة - تمثيلاً من المنجز اللساني والنقدي المعاصر - نهج براون ويول في كتابهما تحليل الخطاب¹ على تقصي الشمولية في تناور المادة اللسانية للخطابات بتعبين مدارات البحث ومناهج دراستها، وهو

الباحث على كينونة الانتقاء والتركيب بين التشخيص التألفي في التخيل وبين التحليل القرائي في الفهم والتلقي على أساس الكشف الذاتي.

- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومير التريكي، مطبع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م.

بذلك يعطي نموذج المقاربة الذي يحقق عند محاكاته الحدّ الأكثر موضوعية في استقصاء البنى اللسانية للخطابات، فإن اعتمدنا الفصلين السادس والسابع أصلاً لمناقشته التماسك النصي والتماسك المعنوي وتقديم نموذجين: أولهما يجري على الترابط النصي والإحالة والاستبدال اللساني¹، ويجري الثاني على أساس وظيفة الاتصال وأفعال لكلام واستعمال معرفتنا بالعالم، مع تفعيل الإطارات والمدارات والمخططات والنماذج الذهنية لتحديد الاستنتاجات اللازمة والاستدلال على التوجهات العامة في تحديد موجهات ونتائج التماسك المعنوي²؛ فإن فروعاً تتصل بهذا النموذج تتعلق بالمضامين وتمثيل المحتويات النصية³، كما تتعلق بالسياق والفهم والمقاصد وعمليات الافتراض والتضمين⁴.

إنّ هذا النموذج في نهاية المطاف نموذج لغوي لتحليل الخطاب في شقيه اللساني والمضموني، وقد قدّمه الباحثان للنظر في إمكانية تطبيقه على نصوص عدّة وقياس مدى نجاح هذا التطبيق بالتجريب والنظر والمقارنة. وهذا وجه. الوجه الثاني الرؤية الشمولية التي تأتي على كلّ المكونات اللسانية وما تمثله في جملة الوظائف التعاملية والتفاعلية التي تميز

¹ ينظر السابق، ص 227-264.

² ينظر السابق، ص 267-324.

³ ينظر السابق، ص 83-140، وفيها حديث عن تصوير المحتوى وعن المناسبة وإطار الموضوع والافتراضات المسبقة، وهو محمول الفصل الثالث من الكتاب.

⁴ ينظر السابق، ص 35-71، وهو محمول الفصل الثاني.

العلاقة النسبية بين النص والقارئ. وإن كان الباحثان في الأصل يقدمان تجربة فردية، فيها شيء مما يدعو إلى التجريب والقياس.

ونحوه روبرت ديوغراند في كتابه النص والخطاب والإجراء¹؛ فقد جرى هو الآخر على تعيين مدارات المقاربة في شكلها الشمولي، وعدم ترك شيء من المادة اللسانية بعيدة عن الدراسة، أو لا تظاها الدراسة، ولا تلحقها المقاربة في صورتها اللسانية المحضة. وللقارئ أن يتأمل شمولية الطرح في هذا المصنّف ربطاً بين التواصل والنصية ومعاييرها ممثلة في الاستحسان ورعاية الموقف والقصدية والإخبارية والانسجام والترابط الفكري ولتناص².

والكتابان السابقان يشتغلان رأساً على المادة اللسانية بما يحقق نموذجاً معرفياً ينحو إلى السلامة في إحاطته بمركبات بنية الخطابات، والتعمّق في دراسة مخرجات اللسان البشري وإنتاجه المخصص للتواصل وتبادل المعارف، وكالتجريب والقياس؛ فإنّ المد اللساني والفلسفي والمعرفي كان حاضراً في تأطير المعارف النقدية في التجربة الفردية.

وفي التجربة العربية؛ ظهر كتاب الغدامي: الخطيئة والتكفير شمولياً جرى على معالجة كلّ العناصر البنائية للخطاب، وإن كان في طرحة

¹ - ينظر: روبرت ديوغراند، النص والخطاب والإجراء، ثر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ج م ع، ط1، 1998.

² - ينظر السابق، ص 103-105.

المنهجي يبدأ انتقائيا حين يعيّن عناصر النموذج المدروس الستّة، ولكنه الانتقاء الذي يفرض التركيب ليكون نموذج الخطيئة والتكفير. إلا أنه في الطرح المعرفي يقدم تجربة فردية ذاتية تجمع بين البنيوية والسيمولوجية وهما مقاربتان من مرحلة لحداثة ويضيف إليهما التشريحية/التفكيكية ونظرية القراءة من مرحلة ما بعد الحداثة، ليعطي للنص وجودا منهجيا مزدوج الوجهة؛ يفتح مغاليقه بالبنيوية والتشريحية والسيمولوجية ونظرية القراءة، وينتقي من البنية النصية عناصر الخطيئة والتكفير في لفكر الديني ممثلة في آدم وحواء والفردوس والأرض والتفاحة وإبليس¹. بهذا الطرح المنهجي والبنية المعرفية يكون الغدامي قد قدّم تجربة فردية فيها جمع من كلّ شيء منهجيا ومعرفيا. وبغض النظر عن تلقي الجمهور لها؛ فإنها تبقى الصورة التي ارتآها، وتطلبت هذا العرض والتقديم.

وكان محمد مفتاح² سباقا في مشروعه النقدي بعرض المقاربة السيميائية وتطبيقها على النص العربي الأندلسي القديم، واشتغل على

¹ - ينظر: الغدامي: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط6، 2006، ص78-169.

² - ينظر: أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، ص141-179 للتوسع. وقد ناقش باحثون كثير محمد مفتاح في رؤاه النقدية ك: أحمد بوحسن في المشروع النقدي لمحمد مفتاح، الساعة 18.28 بتاريخ: 2018/05/07.

<http://www.aljabriabed.net/n201-obuhsan.htm>

ومحمد الداوي، ملامح المشروع النقدي للباحث محمد مفتاح، الساعة 12.23 بتاريخ 2018/05/08

<http://mohamed-dahi.net/site/news>

الشمولية في الطرح، واتضح له بعد تلك التجربة أن ينحو منحى آخر يجري فيه على التركيب المنهجي ويشغل على توليفة منهجية تتناول التناص مدخلا نصيا في كتابه تحليل الخطاب وإن كان طرحه يكرّس الشمولية ولم يقتصر على السيمياء مقارنةً ولا على التناص مدخلا نصيا؛ فقد تعيّن لمشروعه ثلاث مراحل: أولاها مناهج غريبة لقراءة النص العربي القديم وفيها كتاباه: في سيمياء الشعر القديم¹ وتحليل الخطاب استراتيجية التناص². وثانيها بناء المنهج نظريا وفيها دينامية النص³ والتلقي والتأويل⁴. والثالثة من التركيب الحدائي الغربي إلى الموسوعية التراثية وفيها المفاهيم معالم⁵.

فمن جهة بناء المنهج وحدود المقاربة المركبة عنده؛ فقد مال إلى البيولوجيا والرياضيات والمعلوماتية (الذكاء الاصطناعي) والفلسفة وعلم

و: مولاي علي بوختم، الدرس السيميائي المغربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض وعبد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2005.
- في سيمياء الشعر لقديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989.
²- تحليل لخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992.

³ دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006
⁴ التلقي والتأويل، مقارنة نسقين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994.
⁵- المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
يبدو أن رشيد الإدريسي قد سلك النهج ذاته عندما اشتغل على مقامات الحريري. ينظر. رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010. هكذا اختزالا دفعا للتكرار والإطناب.

الاجتماع وعلم النفس، وأعطى لقارئ الخطاب حرية في نسج منوال المقاربة بما يتناسب وبنية الخطاب محل الدراسة، ولذلك تجد مصطلحات السيرورة والتناسل والفضاء والدينامية والذاكرة القصيرة والطويلة تملأ مقارباته في المراحل الثلاث. وأما القصدية النصية والاجتماعية والتفاعل والتواصل وغيرها فهي مما تعجّ به الدراسات النقدية المعاصرة، فمد بالك بمشروع محمد مفتاح الذي بناء على موسوعية التراث، ودقة التخصص وتكامل المعارف في الفكر المعاصر.

وقد كان حضور المورد الصوتية والمعجم والتركيب في المرحلة الأولى قويا، سواء عند اعتماد السيميائية مقارنة أو عند اعتماد التناسل مدخلا للمقاربة في تحليل الخطاب. وبغض النظر عن الوجه السيميائي المعلن فإن الباحث أكد على الوجود اللساني والتداولي والتوليدي والسردية، ثم قارن بين مخرجات الغرب النقدية والفلسفية في مقابل المخرجات التراثية عندنا من بلاغة وعلم كلام وأصول وفق ما تقتضيه قواعد التناسب والاستقراء والاستدلال والقياس والتصنيف.

إن الذي قدّمه محمد مفتاح منهج مركب فيه توليفة من مقاربات عدة، الأساس فيها الفكر الموسوعي التراثي وفكر تكامل المعارف المعاصر، وهو ما ينحو إلى الشمولية في معالجة القضايا التي تحملها الخطابات المدروسة مع التأكيد على الانتقاء الذي يتطلب تركيبا لا يخرج عن بنية الخطاب ولا يتعارض مع مركبات المنهج والمقاربة. وقد بدا في عمله

المتواصل - هذا - اقترح التجربة الفردية نموذجاً أصيلاً لقراءة النصوص من غير نموذج سابق، ولا دعوة إلى اعتماد بعض أعماله نماذج تُحتذى لمعرفته بخروج المقاربات إلى مرحلة جديدة تأتي إبداعاً على إبداع، ولا يصح أن يتدع المتأخر شيئاً حاكاه في سابق متقدم. وقد تتشابه الدراسات والمقاربات ولكنها تختلف أكثر مما تتشابه بما يرفع قيمتها المعرفية منهجياً بوصفها مقاربات أصيلة، وتحافظ على متون الخطابات على تشابهها اللغوي واختلافها البنيوي والمضموني.

الدراسات الثقافية: نماذج حية للتجربة الفردية

تخصصات بينية وتحولات وإعادة نظر في الفكر والممارسات الإنسانية؛

يعطي التاريخ النقدي لمرحلة ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة شكلاً تصورياً يجمع بين التجربة الفردية من حيث هي ممارسة فردية تتأسس على الموضوعية في الطرح والذاتية في النقد والنضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بل الفكري والإيديولوجي أيضاً، وبين الفكر البيني والتحولات وإعادة النظر في الفكر والممارسات الإنسانية مع تغيير البيئة؛ فبعد أن كان الفكر المناهض للرأسمالية شرقي المنشأ، صار غريباً إنجليزياً مرتبطاً بالفئات العمالية والثقافات الدنيا والطبقات التي تشكل الأغلبية وتفقد قوة التمثيل والتأثير في الثقافة العليا للمجتمع الأنجلوساكسوني.

وفي الشق الأول كما في الشق الثاني تقاطعات بالجملة مع ما تمّ تقديمه في التخصصات البيئية وفي العلوم المعرفية ، لتغدو الدراسات الثقافية نماذج حية للتجربة الفردية من حيث المرحلة التاريخية وما فيها من عودة إلى تاريخ ما قبل الحداثة، وعودة إلى المضامين على حساب الأشكال والبنى اللسانية، ليكون في الوضع الجديد المعادلة الأكثر تعقيدا (حركة نقد ثقافية= فكر ما بعد الحداثة فكر ما قبل الحداثة) بتكريس ظاهرة التكامل المعرفي، وتحديد المشكلات الاجتماعية والفردية داخل البنية العامة للمجتمع، حيث تؤدي التخصصات المتعددة دورا محوريا في الفهم العام والاستيعاب الكلي. وقد بدا في هذا الطرح إعادة التفكير في الاختيارات السابقة القائمة على التخصص الدقيق والنقي إلى تعدد التخصصات وتكامل المعارف. بما يصنع نمطا جديدا لا يقصي الماضي بحيث أعاد إليه اعتباره، ويؤسس للتجربة الفردية من جهة التكامل وتعدد الرؤى وعلوية الاستيعاب. ببساطة كان مدار المعرفة البعد المفرد والمنهج الأوحده، وصار الأمر إلى تعدد الأبعاد والمنهج البيئي التكاملي، حيث الأبعاد الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بعضها ظهير بعض.

مفهوم الدراسات الثقافية :

هي ثقافة نمط السلوك الاجتماعي، من حيث أنّ الثقافة هي معرفة ومعتقدات وفنون وأخلاقيات وقوانين وأعراف وعادات الإنسان داخل

مجتمعه، وما وقع في دائرة الاكتساب داخل البنية العامة للمجتمع¹. وقد تعينت الثقافة عند سايمن ديورينغ تقابلاً بين ثقافة عليا وأخرى دنيا، لتصنع المعاني والعمليات والمؤسسات التي تؤدي إلى فهم الوجود؛ ذلك أن الطبيعة هنا تعطي شبكةً من المتناقضات تتأسس عليها الدراسات الثقافية، وتعطيها سبب الوجود بالنضال من أجل مبادئ تحقق في المجتمع الواحد نمطية التسوية والإخاء والعدالة الغائبة².

وعليه؛ تأتي الدراسات الثقافية تنظيماً للبحث ورأس المال الفكري، بما يعطيها الشرعية والآنية في معالجة القضايا التي لا تعرف المسلمات، وتجد نقاشاتها في كلّ تخصص يمكنه تعرية الحقيقة طلباً للعلاج، وبخاصة وأنّ هذا العلاج لمشكلات تقع في مجتمعات رأسمالية، قد لا تؤمن بالفكر الماركسي، وليس لها إلا جبهة اليسار للمناورة السياسية والاجتماعية

¹ - ينظر: زيودين سوردار (Ziauddin Sordar) و بورين فان لون (Borin Van Loon)، الدراسات الثقافية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، ط1، 2002، ص8

² - ينظر. سايمن ديورينغ (Simon During)، الدراسات الثقافية، مقدمة نظرية، تر. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015، ص309-333.

وينظر للتوسع في المفهوم: تيم إدواردز (Tim Edwards)، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تر: محمود أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012، ص201 إلى 285 معالجا النظرية الثقافية المعاصرة من حيث المفهوم والامتداد والجوانب التاريخية، وقد بدأ بحثه على صورة الإجمال لئلي يبدو عليها، فيه تفصيلات دقيقة.

والاقتصادية. إن الدراسات الثقافية تضع المشكلة وتعريتها في سياق عام، هو الفهم الشمولي للثقافة، مما يجعلها حية، وذات هدف أساسي، لتكون الدراسات الثقافية المعاصرة مجمل التعابير المشكلة من الممارسات الاجتماعية والاعتقادات والأنظمة المؤسسية¹.

التخصصات المعرفية في الدراسات الثقافية :

يتقاطع علم الاجتماع والفلسفة والتاريخ والأدب واللسانيات والسياسة والتحليل النفسي² والانثروبولوجيا والدراسات الجندرية وتاريخ الفن والإثنوغرافيا وتاريخ المجتمع³. وبذلك يظهر التخصص البيئي، أو

¹ - Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle, dans L'homme et la société, 2003 3(no 149) pages 31-40. [https:// www.cairn.info/revue-l-homme-et-la-société-2003-3-page31.htm](https://www.cairn.info/revue-l-homme-et-la-société-2003-3-page31.htm).

² - Ibid

تؤكد لباحثة على أن هذه التخصصات هي الوسيلة الوحيدة القادرة على اكتشاف الحقيقة المتعددة للثقافة.

³ - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies : une approche d'histoire des savoirs, dans revue d'histoire moderne et contemporaine, 2004 5, (no51-4 bis), pages 48-58. <https://www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-pages-48>.

تاريخيا، ظهرت الدراسات الثقافية في جامعة بيرمنجهام الإنجليزية عام 1964 مع ريتشارد هوغارت (Richard Hoggart) وريموند ويليامس (Raymond Williams) [1923-1988] وإدوارد طومسون (Edward Thompson) [1924-1993]. وكان هوغارت قد ألف كتابه "ثقافة الفقير" معالجا فيه تأثير ثقافة الطبقة العمالية من خلال وسائل التواصل والإعلام. وكان زميله ويليامس قد ألف "الثقافة والمجتمع". وأما زميلهم الثالث فله "صناعة الطبقة العمالية الإنجليزية". وكان عمل الرواد الثلاثة متعلقا بالحياة الحقيقية للطبقة العاملة وثقافتها النافهة في نظر الطبقات الأخرى كما يراه ريتشارد هوغارت، في حين عمد طومسون إلى بلورة هذا الصراع الطبقي وتعارضاته

تعدد التخصصات في هذه الدراسات التي شكلت حركة تجمع بين كل

الفكرية والاجتماعية، ليؤكد ويليامس بأن الثقافة أسلوب حياة كامل وكيان واحد. وينظر: زيودين سوردار وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ص 32-38.

طبعا هذه الدراسات تصدر عن مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بـبيرمنجهام (CCCS)، وإنما تصنع الثقافة الاختلاف بالمدرسات الفكرية، من حيث هي التزام يسعى إلى الارتقاء بأخلاقيات المجتمع وفق منظور فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة والمفردة وعلاقتها بالسلطة إنه التوجه الجديد للسياسة الأوروبية في الغرب. ينظر زيودين سوردار وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ص 13. وفي ص 10 منه يحدد الباحثان التخصصات التي تعتمد في البحث الثقافي: علم الاجتماع وعدم النفس والانثروبولوجيا واللغويات ونظرية الفن والفلسفة والعلوم السياسية. ولذلك امتد البحث في الدراسات الثقافية إلى جامعات أمريكية (Illinois) و (Iowa) وكان محط ملاحظة المتظرين الفلاسفة الفرنسيين ليوطار (Lyotard) ودريدا (Derrida) وبارث (Barthes) وفوكو (Foucault) ودولوز (Deleuze) وسارتو (Certeau) وريكور (Ricœur)، وفي الوقت الذي كانت فيه دول أوروبية كثيرة بعيدة عن الدراسات الثقافية عدا دراسات متفردة، وصل المد الثقافي أوجه في أمريكا اللاتينية مع الكولومبي خيسوس مارتين باربرو (Jesus Martin Barbero) والأرجنتيني نيسطور غارسيا كانكليني (Nestor Garcia Canchni) والبرازيلي ريناتو أورتيث (Renato Ortiz) والمكسيكي جورج غونزاليس (Jorge Gonzales) وفي أمريكا الشمالية مدرسة شيكاغو مع هوارد بيكر (Howard Becker). كما امتد إلى الهند مع المؤرخ البنغالي رانا جيت خوها (Ranajit Guha) المتأثر بأعمال غرامشي (Gramsci) والماركسية وأعمال طومسون إن المزج بين لاقتصاد والعلوم السياسية وعلوم الاتصال والصحافة والعلوم والتكنولوجيا والانثروبولوجيا والتاريخ والجندرية ثم مناقشة وتحليل موضوعات كالعرقية ولطبقات الاجتماعية والجنس يجعل هذه الدراسات طبيعة شمولية تقوم على معارف بينية. ينظر:

S éphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op cit.

وعليه؛ تأتي الدراسات الثقافية في سياق خاص بدأ في خمسينيات القرن لماضي حين بدأت الطبقة العمالية تتوجه نحو البرجوازية، وظهور جيل جديد يطرح مشكل الانتماء إلى ثقافة ما أو إلى ثقافات كثيرة. وهو جيل ثائر نحت سننه الثقافي بمعارضة السنن الاجتماعي للطبقة البرجوازية. ينظر:

Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle , op cit

التخصصات التي ترتبط بالإنساني في المجتمع وكذا المجتمع البشري الذي يتأسس على ممارسات وتعبير ثقافية¹. وقد أجملها تيم إدواردز في تراث علم الاجتماع². ولأنّ الهوية الثقافية مدمجة وتتبع الظروف التاريخية والاجتماعية الخاصة؛ فإنها تصنع سياقاً علمياً وآخر سوسيو-تاريخياً بما ينتج عنه الفكر العام للسياق ذاته، حيث تصنع التعارضات الثقافية الحدث، وتؤجج النضال داخل النموذج الثقافي.

الموضوعات:

اتخذت الدراسات الثقافية موضوعاً لها القضايا والظواهر الثقافية في المجتمع البشري كالأستعمار والنسوية وقضية الزنوج والطبقات الكادحة والعرقية³ وهذا وجه، والوجه الثاني، وسائل الإعلام والعولمة ومقاومتها⁴. وعند ديورينغ هي الهوية ممثلة في العرق والتعددية الثقافية وجدل الهوية⁵، ووسائل الإعلام ممثلة في التلفاز والموسيقى الشعبية

¹ -Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle , op.cit.

² - ينظر: النظرية الثقافية، ص 25-157.

³ - ينظر: زيودين سوردر وبورين فان لون، الدراسات الثقافية، ص 45 وناقش في ص 50 وما بعدها قضية المثقفين والمفكرين والهيمنة والهوية التي رفعها إلى هومي بهابها (Homi Bhabha)، وهو أمريكي ناقش قضية الهوية والعرق وجعلها مرتبطة بالانتساب ص 127. والهوية والصراع السياسي ص 132، والأدب الزنجي ص 134.

⁴ - ينظر السابق، ص 158-170.

⁵ - ينظر: سامون ديورينغ، الدراسات الثقافية، ص 239-263.

والانترنت¹، والفضاء ممثلاً في العولمة والمحلي والإقليمي القومي²، وأخيراً الزمن ممثلاً في الماضي بوصفه تاريخاً ثقافياً، والحاضر بوصفه الآني الذي يحرك البحث الثقافي، والمستقبل بوصفه محلاً للتغيير، وهو القائم على السياسات والنبوءات³. وعند آن شالار موضوعات الأقليات العرقية وما بعد الكولونيالية والجنس والمثلية والعولمة وانعكاساتها داخل المظهر السوسيو-سياسي، وهي موضوعات عند غيرها. المهم هي مطالب هوياتية لمختلف الجماعات السوسيو-ثقافية التي كانت ضحية تهميش أو تمييز داخل المجتمع، ولم تجد التغيير والتعبير والمطالبة بالحقوق والتعايش إلا في مرحلة ما بعد الحداثة⁴.

إن الذي تمّ ذكره في هذا المقام معرفة مشتركة بين المهتمين بالدراسات الثقافية، ولذلك تأتي مفصلة عبد البعض. كما تأتي جملة عند بعضهم

¹ - ينظر السابق، ص 177-225.

² - ينظر السابق، ص 135-157.

³ - ينظر السابق، 91-119.

⁴ - Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies une science actuelle, op cit.

وينظر: Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies

متحدثاً عن الثقافات الدنيا ووسائل الاتصال، والموسيقى، واللباس وحتى الرياضة، بهدف ملاحظة كيف تستخدم الثقافة وتحول داخل المجموعات الاجتماعية العادية والمهمشة، ثم دراسة الأقليات المهاجرة.

الآخر¹. ولكنها تتأسس على المرور من الأدبي إلى الثقافي عبر التاريخي والفلسفي والاجتماعي، مع حركة حثيثة لتحسين النظريات لمواكبة الممارسات الثقافية الكلية، مع اتخاذ الواقع المعيش مرجعا لكل مقارنة، لتمثل شاهدا ثقافيا على مؤولين وموضوعات وأشياء ضد الثقافة الرسمية، بوصف ذلك أفعالا مناهضة وحركات احتجاج كما فعل فوكو وغرامشي وألتوسير (L. Altusser) لصالح الطبقات الأقل حظا في المجتمع، ودفاعا عن مصالحها من منظور المثقف المتزيم والمستقل (l'intellectuel engagé et indépendant)، الذي يشتغل على ثنائية هم/نحن، بما يقع تحت التقابل النخبة/ الجماهير. وقياسا على تناظر الأحوال أو على تعارضها تأتي السياقية المعاصرة للفعل كما تأتي صفة الإيجابية في صورتها غير المريحة وغير السلسلة، ومن لطيعي جدا أن يجد القارئ حديثا عن التهميش وتقابل النخبة والعامة، والممارسات الهوياتية والاستهلاك الثقافي، وبناء الجماعي أو الجمعي (construction du collectif) وعن العولمة وانعكاساتها، وعن الوطنية والمواطنة. ومن الطيعي أن يجد كذلك موضوعات كتاريخ الاستعمار والكولونيالية وقضية المثقفين والالتزام والاستقلال، وغيرها من الموضوعات التي اشتغلت عليها الدراسات الثقافية.

¹ ينظر: تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وقد أجمل الموضوعات في: التمثيل والهوية ص 329، والنسرية ص 379، وموسيقى البوب ص 415، والمواطنة الثقافية ص 461.

وينظر: Anne Chalard-Fillaudeau, op cit

المنهج:

إذن هو بحث تاريخي مرتبط بفهم مرحلة ما بعد الحداثة. وقد كان الهدف إعادة بعث التحليل الماركسي مع ليساريين الجدد، وظهور أنظمة القيم بتسليط الضوء على مقارنة ثقافة الأغلبية في علاقتها بتاريخ المجتمع، ومناقشة ممارسات المقاومة التي خاضتها الطبقات الشعبية في كفاحها الاجتماعي، والموضوع متعلق بالمجتمع البريطاني أولا ثم امتد إلى أمريكا فإلند وأستراليا وفرنسا¹.

تقوم الدراسات الثقافية على إنتاج مقاربات اجتماعية بمنهجية تتأسس على دراسات ميدانية، وسبر الآراء، وتحليل الخطابات، من منظور ما بعد حداشي يتغيّر الإنسانيات والنسبية داخل كون ثقافي علمي اجتماعي تاريخي.

في "التحليل الثقافي"² أربع نظريات: الفينومينولوجيا مع بيتر بيرجر وهوسيرل وهايدجر، والانترولوجيا الثقافية مع ماري دوجلاس (Mary Douglas)، والبنائية مع ميشال فوكو. والنظرية النقدية مع يورجن هابرماس (J. Habermas). كما نجد ماكس هوركهايمر (M.Horkheimer) وتيودور أدورنو (T.Adorno) وإيريك فروم (Erick Fromm)، وكلهم

¹ - Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit

² ينظر: يورجن هابرماس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد وآخرون، هيئة المصرية للكتاب، لقاهرة، 2009. وينظر: تيم إدواردز، ص 329 في حديثه عن التحليل الثقافي المعاصر.

يتحدثون عن مداخل التحليل الثقافي من منظور علم الاجتماع، بل منظور متنوع منهجيا لموضوعات متداخلة، تعالجها تخصصات مختلفة، يحسن تسميتها بالفكر البيئي. وليس عرضها هنا لنقدها بقدر ما هو لمعرفتها، لأن التحليل الثقافي يتغيّر المضامين وفق منظور يحقق معرفة تقارن بين الأنساق ظاهرها وباطنها؛ فتبدأ بالموضوع وكيفية تمثيله وتمثله في المجتمع وثقافته حاضرها وماضيها، وبيان ما فيه وما عليه بتتبع الممارسات الثقافية في المجتمع من منظور الموافقة أو منظور المخالفة، بما يحقق التزاما واستقلالا وموضوعية.

ويعرض ستيفان فان دام¹ الانثروبولوجيا الوصفية (الاثنوغرافيا/ethnographic) وتاريخ المجتمع حديثا عن منهج التحقيق في الدراسات الثقافية حين صارت الإشكالية مفهوما إيديولوجيا يتقابل فيه المهيمن والمهيمن عليه، حيث يؤدي الطرف الثاني دور المستهلك الفاعل في مرحلة أولى ليتحوّل إلى منتج للقيم والخطابات الثقافية في مرحلة لاحقة. كما يعرض مقاربات بول ريكور الظاهرية، ودراسات يار بورديو (P. Bourdieu) الاجتماعية وغيرهما. وبهذا الشكل فإنّ المقاربات الثقافية تدخل في عموم التخصصات التي تناقش قضاياها من غير آليات تحليلية معتمدة اعتمادا متفقا عليه؛ فهي تخضع للتجربة الفردية في الطرح وتعرية المشكلات أمام الرأي العام، حتى ليرأى للرأي أنّ الموضوعات

¹ Stephane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit

المطروحة ما هي إلا أشكال نضالية برؤى إيديولوجية معارضة للسلطة القائمة ورفضاً لممارساتها، فتأتي الممارسة المقابلة لتعطي لذاتها أحقية الوجود والوجود المخالف، إن على مستوى التعايش وقبول الآخر، وإن على مستوى المطالبة بالتغيير والاعتراف بالممارسة الثقافية وقبولها والتعايش معها. وعلى هذا الأساس تُستدعى السيميوطيقا لفكّ تشفير الممارسات الثقافية، من منظور اليسارية الجديدة¹ والهوية الثقافية التي ترفض الحجر عليها.

مشاكل الدراسات الثقافية:

- عرضت آن شالار مجموعة من المشاكل²:
 - إمكانية فقدان الهوية المعرفية بفعل السنية وتعدد الرؤى.
 - تأخر الإجابة عن موضوعات آنية ومعاصرة
 - ليس للدراسات الثقافية الوقت الكافي لإنتاج فكر شامل ومنسجم.
 - وعلى الرغم من أن هذه الآنية والمعاصرة في المعالجة تضعفها، ولكنها تجعلها في المقابل ضرورية.
- وعرض زيودين وفان لون في الدراسات الثقافية³ انتقادات على مستوى الطبقات والأقليات وطبيعة المدن، ولم يبد لي -في رأيي- أن ترقى

¹ - Anne Chalard-Fillaudca., les cultural studies : une science actuelle, op.cit

² - ibid.

³ -تنظر ص 56-119 منه.

لتكون انتقادات أكاديمية. ولم يخف سايون ديورينغ في الدراسات الثقافية¹ وجود مشكلات. وهي المشكلات التي تسري على المنهج وكيفيات المعالجة وطبيعة المقاربات بما لا يخرج عن مجمل ما في هذا الطرح.

وعرض ستيفان فان دام² جملة من المتناقضات الخارجية في الدراسات الثقافية :

- مشكلة توسيع حقل المرجعيات القائم على تعدد التخصصات، بما يصنع فضاءً غير منسجم، في كل العلوم وليس علما قائما بذاته لا يخرج إلى غيره، أي التخصص. وهو مشكل يصل حد الأزمة في رأيه.
- الابتعاد المتدرج عن المقاربات السوسيولوجية، وغياب الهوية العلمية المحددة بما يعطي إفرازات معرفية متنوعة من علوم مختلفة.
- غموض وكثافة الدراسات الثقافية.

ولا أرى المسألة كذلك للتحوّل الحاصل في المعرفة المعاصرة من نقاء التخصص إلى تكامل المعارف. وهذا وجه. والوجه الآخر، أنّ التحليل يأخذ منحى منهجيا أصيلا ويمتد في غيره طلبا لفهم أفضل وأوسع؛ فلا يكون للهوية المعرفية دخل، ولا يكون للغموض موضع، إلا أن نعتدّ بغموض كل علوم ومناهج التحليل المعاصرة التي تعتمد التجربة الفردية.

¹ تنظر ص 73 منه.

² Stephane Van Damme, comprendre les cultural studies, op.cit

ثم إن ظهور هذا المد المعرفي المتعدد المشارب، يجعل البحث في صورته المتنوعة عملاً يبحث عن المعرفة في كل المجالات التي تشكل رغبة تتصل فقاعاتها مشكّلة الثقافة بمعناها الواسع.

كما عرض مشكلات داخلية-أي من المشتغلين في حقل الدراسات الثقافية، حدّدها بحقل متداخل التخصصات، ووصفه بالمتوحش والحرّ من كلّ القيود المعرفية للعلوم والتخصصات المفردة؛ ولذلك يأتي نقد دونا هراواي (D.Haraway) متحدثاً عن الاستعمالات اللغوية غير المتحكم فيها من طرف الحركة النسوية. وفي نظري صناعة الخطاب الثقافي المعارض لطبقات تناضل من أجل الحصول على حقوقها لا يستبعد أن يكون فيه مثل هذا الاحتراز، وهو من موضوعات الدراسات الثقافية. كما يأتي نقد جورج ماركوس (G.Marcus) في الانثربولوجيا الثقافية حيث يعيّن ضرورة التفريق بين المقاربات، وقد ذكرت شيئاً يعتمد في هذا الموضوع؛ المقاربة المركبة بغية تحقيق معرفة كلية لواقع كلي، بعيداً عن تشطي المعرفة وتشطية الواقع. وفي نقد الانثربولوجي جايمس كليفورد (J.Clifford) البعد الجمالي للمقاربات الثقافية، حيث يتم تقديم القيم واحترام السلم الاجتماعي والتابع (الاتصال) التاريخي، يتداخل التاريخي الحداثي بالانثربولوجي الإدراكي المفهومي، ليكون بين الاجتماعي المحض والمعرفي الصرف المخرج الواحد المعيّن بالمقاربات المتنوعة. وهو من عموم المعرفة المتكاملة والمناهج

المتضافرة والمقاربات المركبة، انتقاء لموضوعات لذاتها، أو شموليةً لموضوعات عدة يلامس بعضها بعضاً.

يصح القول إن الدراسات الثقافية له ذلك المجرى الفني، وموضوعات الترفيه، والممارسات النضالية بالنسبة إلى البعض. وبالنسبة إلى البعض الآخر هي حقل جديد للعلوم والمعرفة، فيسمح تحليل الممارسات الثقافية، والتقاء التخصصات المتعددة بإعادة اكتشاف موضوعات الدراسة وتجديدها وإعطائها أبعادها الحقيقية، أو ما يُعتقد أنها كذلك.

وقد أجمع المتقدمون على غياب الانسجام، وتعدد المنظورات، والضبابية والغموض والتشتت، مع تمسك أكيد بالتخصص الأصيل. ويبدو لي هذا هو ما تتأسس عليه التجربة الفردية التي نسعى إلى بيانها وإظهارها، من غير نموذج سابق، ولا مثال يُحاكى. بل طبيعة الحياة اليوم فيها عدم لانسجام وتعدد المنظورات والغموض والكثافة، فمن الطبيعي أن تتمظهر الدراسات الثقافية ومناهج مقارباتها بهذه الخصائص التي هي من الواقع المعيش المؤثر في كل الوجود المعاصر.

خلاصة:

في هذا البحث حديث عن مناهج تحليل الخطاب من جهة التجريب والقياس في مرحلة الحداثة، ومن جهة التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة، انتقاءً أو شموليةً، ذاتية أو موضوعية. ومدار الفعل التحليلي

مقاربات تتأسس على الممارسات الفردية بخصائص معينة، تجعل من بعضها محاكاة لنماذج سابقة، ومن بعضها الآخر صوراً مبتكرة من دون نماذج قبلية، وإن كانت كل المقاربات تُعزى إلى نظريات ومدارس نقدية بذاتها. وإنما يتعين الفارق بالزمن والمرحلة ونمط المقاربة، وبالنموذج في صورته الأصلية أو شبه الأصلية أو المقلدة.

ارتبط النقد المعاصر بالمراحل التاريخية، بل بالمواقف المسيرة لحركة التاريخ؛ ففي مرحلة الحداثة قَدِّمَ النقد نماذج للقياس والتجريب، أعطت تراتبية معرفية تأسست على التشابه وعدم الاختلاف، وإن كانت جديدة في طرحها، بل متميزة في بداية المد النسقي.

وفي مرحلة ما بعد الحداثة؛ تعينت التجربة الفردية بديلاً عن تجريب والقياس والمقارنة، سواء أكان العمل على المحاشية أو على استحلاء السياقات والمقاصد والتداوليات. فكان العمل إبداعاً والمقاربة إبداعاً آخر قد يفوقه تصوراً واستيعاباً، وكلاهما يتأسس على انتقاء الظواهر والتركيب بينها جميعاً بالكشف الذاتي، لدى المنتج بدءاً ولدى القارئ انتهاءً.

نموذج التجريب والقياس كنموذج التجربة الفردية يقوم على أسس نظرية ثابتة تتبع مخرجات نظرية ما بعينها، إلا أن التجريب يقتضي النموذج السابق، وهو ما لا تقتضيه التجربة الفردية، بل تأتي مفردة ممارسة وإجراءً وتصوراً بمبررات بنيوية نصية خالصة أو سمات أسلوبية

لافتة أو علامات سيميائية دالة وفق مقتضيات النظرية الأصلية والنظرية المدججة، وهي التي تزيد في مرحلة ما بعد الحداثة بالجمع بين المقاربات، فإن توقّف الفعل الإجرائي على مخرجات مرحلة الحداثة فهو قياس وتجريب .

في مقاربات المرحلتين معاً، يبدو الانتقاء مرة والشمولية مرة أخرى، وقد يبدأ الطرح انتقاءً ثم لا يلبث أن يتحوّل فعلاً شمولياً، تتجاذبه النزعة الذاتية بفعل الممارسة الذاتية والفردية حيناً، والنزعة الموضوعية بفعل موضوعية لغة الخطابات، فلما وصل التركيز أوجّه بدت الموضوعية التي هي في تصوراتنا المجردة نقيض الموضوعية ملائمة لها، متكاتفاً معها، بحيث تُستقى المعرفة من الطرح الذاتي إدراكاً، المؤيد بموضوعية الخطابات برهاناً واستدلالاً.

المعلم الرابع*: رؤى نقدية معاصرة في الإدراك والإنتاج وتحليل الخطاب

I - التحولات والرهانات (مازق البت في ما (يمكن/لا يمكن) البت فيه) :

تكشف الذهنية البشرية عن ساقها عند كل قفزة تعثرها من الزمن، محاولة بذلك العبور إلى الضفة الأخرى، حيث تجد نفسها أمام: القبول أو الرفض، تشق طريق المجازفة والمغامرة، أو التراجع والحفاظ على ما هي عليه.

وتُعطي مساءلة العصر؛ للواقع رهانات مسؤولة -بشكل أو بآخر- عن قطبي الإنتاج والتلقي. فتُصنع على عين الحقيقة أو ما وراءها، بوتقة بعينها، دون غيرها، وسيأتي الحديث عن تشكلات الرهانات على اختلافها لاحقاً.

تصنع معالجة المواضيع والجوانب التي تبدو تافهة من الحياة في غالب الأحيان جدلاً عظيماً ومراوفاً، يتجه نحو التّعالّي، في الممارسة و لنظرية، وهو ما يُشكل قاعدة عريضة للإدراك والفهم...؛ لعلّ بيتر سلوترديك قد أوجز

* هذا المعلم عمل مشترك مع الأكاديمية الباحثة: ربيعة أبو بكر من جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

بيتر سلوترديك. ولد الفيلسوف الألماني بيتر سلوترديك عام 1947 ودرس الفلسفة واللغة الألمانية والتاريخ بجامعة ألمانيا (...) نشر عددا من الأعمال الفلسفية المشهودة في ألمانيا. يعمل أستاذاً للفلسفة ونظرية الميديا (...) فضلا عن مشاركته منذ العام 2002 في تقديم برنامج تلفزيوني

هذه الفكرة في مشروعه النقدي² الذي مهّد له طيلة عمله في جامعة ميونيخ وجامعة هامبورغ الألمانيّتين من عام 1968 وحتى العام 1974.

إن الذي يميّز التفكير والأسلوب المبتكر عنده أنّه ينمي على ثقافته المعاصرة، من خلال دفع حدود المنتدى التقليدي للماهيّة ومن ثم تحديد المفاهيم العامّة ليس فقط من خلال التحوّل إلى المرحلة الأكاديمية التقليدية وإنما إلى الإعلام الجماهيري³ ما يفسر سعيه نحو التجديد والتغيير، بل وإحداث تقلبات في النظرية النقدية، ما يهّمننا في الإنجاز النقدي هو الرّابط الذي يجمع بين مشروع الكرات خاصته والقاعدة الفلسفية لنظرية القراءة والتلقي الألمانيّة، ومدى إمكانية توظيف ما تمّ ذكره سابقاً على النصوص الإلكترونيّة والرقمية بوصفها أنموذجاً للعصرنة والتطور والتكنولوجيا.

وفي مُعترك حديثنا، كنّا قد أشرنا إلى مصطلح مشروع الكرات، فنحن نقدم تعجباً بارزاً لوجود هذا المصطلح في الخطاب النظري المعاصر؛ فيرى

شهير بعنوان: (في بيت الزجاج: اللّجنة الرباعية الفلسفية) الذي تعرضه قناة ZDF الألمانيّة المكرسة لمناقشة القضايا الفلسفية المعاصرة بصورة معمقة.

ينظر، أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مؤمنون بلا حدود المغرب الرباط، 2015، ص2.

ينظر، أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014، ص153

³أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص155.

سلوترديك أنّ ثقافة ما لا تحمل مفردات كاملة عن نفسها¹ هو ما يجعلنا نقول بأنّ ما يمكن أن تُرسيه ثقافة، هو ما كان ظاهراً، أو ما يمكن له أن يظهر عاجلاً أم آجلاً، ومقارب للسائد الأعم، إلّا أن الكشف عن محدودية الأفق المعلن سيبقى مُختزلاً داخل معالم غير ثابتة، وغير محدودة، فالاعتبار الذي يؤدي إلى إنجاز محقق، أو يمكن تحقيقه داخل ثقافة معينة، قد يفترض منّا قراءة التشفير الرّمزي وقوته على فهم العالم، واستنطاق لاحتتمالات الممكن إدراكها على الأقل، (...) وتؤكد لعبة الكمات الحالية على تحديد موضوعات وترك غيرها من الظواهر دون معالجتها. وهذا ينطبق كذلك على مفردات النظرية في أواخر القرن العشرين، ويمكن للمرء في العقود الماضية أن يتكلم بشكل متفق مع فارق بسيط عن كلّ ما يتعلق بالتركيب الزماني في العالم الحديث²؛ هنا يعاد فهم المنطق بشاكلة معينة.

على هذا الأساس؛ يمكننا الأمر من خلق تصوّرات جديدة أكثر انفتاحاً وأعمق بلورة، إلّا أنّ اللاّزمة الوظيفيّة للمعرفة تحدّد لاحقاً أي بعد تحديد سياقها الإنتاجي عندها نقول: تحققت عملية البَيِّنَة Process of Structuring³ أم لا. ويبقى الأمر غير محقق إلى أجلٍ معيّن لأنّه قد

¹ المرجع نفسه ص 163.

² المرجع نفسه ص 163.

³ محمد بوعزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، مشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2014، ص 16.

نشرت أطنان من الكتب تتحدث عن الدفع نحو الماضي *Historicization*، والتوجه نحو المستقبل *Futurization*، وتجهيز كل شيء ومعظمها ليس مقروءاً الآن، وعلى النقيض من ذلك، كان لا يزال من الصعب نسبياً قبل عشر سنوات تقريباً التعليق على نحو معقول على مكانية الوجود: *Spatialization of existence*¹، فإذا ما استقصينا الخطاب الراهن، حول إمكانية وجود قوة خطائية تحل محل المطلق الدائم، وكأنها قدرٌ حتمي، فتبسط الماضي في كفة، وتُعَلِّي المستقبل في كفةٍ أخرى؛ أو العكس، عندها يَمَثِلُ لنا الثابت المتحوّل على شاكلة المتغيّر الثابت، حينها ينبثق على هامش التعليق لإمكانية الوجود *Spatialization of existence* كما سبق الذكر، فهل يفك هذا التحول شيئاً من المتغيرات والثوابت؟.

إنّ المنطق النقدي لا يتنافى وحدود المعرفة المعطاة، إلاّ أنّه ليس من الصحيح -بقدرٍ ما- أن تُعمَمَ على جميع المراحل المعرفية، فالتركيبة الذهنية

أماي أبو رحة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعدما بعد الحداثة، ص 163. وفيها قوله «...» في العالم الحديث، ضبابٌ كثيف ينطوي فضاء النظرية، وحتى وقت قريب، كان هناك عمى مكاني طوعي وبسبب المستوى الذي كان يظفر فيه إلى المشاكل الزمانية بوصفها تقدمية ورائعة، كان يُعتقد بأنّ قضايا المكان قديمة ومحافطة، وتهتم الرجال من الطراز القديم والامبريالي، كذلك الفصول الساحرة عن الفضاء (المكان) التي كتبها دولوز ونحو اثنائي في ألف هضبة لم تغيّر الوضع لأنهما كانا سابقين على عصر مولع بعبدة الزمن، وينطبق نفس الشيء على مقترحات فوكو المتأخرة الذي يرى بأننا ندخل مرة أخرى عصر الفضاء (المكان) الذي لم يكن لنا أن ندخله في تلك الفترة حتى ولو انتقالياً».

تختلف، وتتطور، وتتعلق، وتباين من مرحلة إلى أخرى، كما أنّ بتير سلوترديك يوضح مليا في الفقرة السابقة استحالة الوقوف على مستوى معرفي واحد، حتى في الثقافة الواحدة كما سبق الشرح، ويشير إلى نقاط مهمة جدًا أثناء حديثه كتأجيل التأويل والتفسير للحوادث والتي يُعتقد أنها تتطلب ذلك في زمانها وأوانها، فرهان الزمان والمكان والسياق لا يمكن لها أن تبرز الحقائق. وتعطيها الأبعاد التي من المفروض والمعتقد بروتزها وفهمها وإدراكها انطلاقًا من المعطيات المقدمة من طرفها أي: الزمان، والمكان، والسياق... مع إمكانية توافق/ عدم توافق محطات الحاضر والماضي/، الحاضر والمستقبل/ الحاضر والحاضر/ الماضي والمستقبل/، المستقبل والماضي حيث تركز هذه المفاهيم على قاعدة فلسفية. تختلف كلفة عن الفلسفات المواكبة لأفكار وطروحات تلك المرحلة، وعلى الرغم من تعدد المساحات المنتجة للعوالم اللامتناهية، إلا أنه من الممكن، بل من الضروري الممكن، تحديد المفاهيم والمدركات المعرفية التي تخضع الإنتاج إلى نمذجة تبلور اشكلة النهائية للإنتاج الكلي طبعا مع وجود جدلية قائمة حول صياغة التواصل وترجمته إلى صيغ مفهومة أو بنية مفهومة، أو يمكن فهمها على الأقل.

نحن أمام تجارب مناهضة للماضي، طوفان من التحولات لمعاصرة، لترسم آفاقاً جديدة، تحمل خلفيات، بحدين مختلفين: "دفع نحو الماضي

Historization والتوجه نحو المستقبل Futurization¹، هنا، يبدو من نافل القول، إنّ نجاعة هذا الدّفع أو التوجه، إنّما يرتبط برؤية محددة للعالم والإنسان على حدّ سواء، لأنّ تكريس هذه الرّوى على شُعَبٍ مختلفة، يفرض استقلالية التطبيق، بعيدا عن الشعارات المعلّبة، واحتراما للمهام النقدية التي يفصح عنها الرّأي الآخر على أساس أن هناك قوة خطائية تواجه الخطاب ذاته، ودوما عن تلك المسافة الفاصلة بين الحدين، سنجد ما يعبر عنه، بشرعية الانتقال الخطابي النظري النقدي، بحثا عن المعنى المنفلت من قبضة الحقيقة المطلقة أو من عقال اهيمنة النقدية المتسلطة. ففي المجلد الثالث من الكرات وفي فصل طویل بعنوان مدينة الرغوة يحاوس سلوترديك أن يصف هذه المضاعفات من الحياة العصرية بتوظيف مصطلح صناعة الرغوة foammaking كلّ فرد يعيش في فقاعة محددة داخل رغوة التواصل² فاللّحظة الفلسفية التي يضعنا فيها بيتر سلوترديك، توحى بأنّ لمدينة الرغوة، عمق تحليل ذا أفق متباعد بين اليّن، إلى غاية أن يكون الأمر يقينيا، وذلك بطرح تساؤل الحداثة وما بعد الحداثة، وفي مساحات كبرى من التحولات..

وفي "رغوة التواصل" نجد ذلك الظهور الوصفي المنكمش والمختمي داخل سديم ما يسميه سلوترديك بـ: "صناعة الرغوة"، فإذا اعتبرنا الفرد

¹ أمانى أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعدما بعد الحداثة، ص 163.

² المرجع نفسه ص 167.

كائن يعيش في ملجئ الذات المنعزلة، فماذا نقول عن بوصلة الذات المهرولة نحو المعنى من خلال الشدّ على التأويل عن طريق القراءة؟، تفصح جملة السؤال الوجه الحقيقي، المعبر عنه برغوة التواصل لدى سلوترديك "ومدينة الرغوة" هي نظرية للعيش في شقة والشقة هنا هي المكان الذي يحتوي على وسائل الاتصال اللازمة مع العالم الخارجي، إلا أنها أيضا نظم مناعي مكاني إنه يحصنك ضدّ تأثيرات العالم الخارجي ولكنه في الوقت نفسه يربطك بالعالم الاجتماعي الذي هو شكل من أشكال "العزلة المترابطة"؛ الأمر أشبه بعناق فراديس مفقودة كأن يصنع الفرد الواحد من "مدينة الرغوة" مصيرا اجتماعيا بعينه -دون الآن- لتحقيق منظومة "رغوة التواصل"، ليحدّد -لاحقا- توافق/ عدم توافق: سلوكاته، تصرفاته، عاداته، انتماءاته والأهم تغيراته مع مجتمع الرغوة، يتحقق هذا؛ بعد أن يستسيغ مجتمع الرغوة أداة أدائية فاعلة مناعية تخصّه هو الآخر دون غيره، فيختار -حتما- أداة خارجية للنفخ بها، حيث تكون صالحة للإمساك بتلابيب كلّ فقاعة على حدة. ما يحقق العزلة المترابطة التي تعطي للمكان أهمية على غرار الزمن². وصولا إلى هنا؛ هل يقتضي هنا القول

¹ ينظر: أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية لوجود في الألفية الثالثة، ص 11. العزلة المترابطة: وهو مصطلح ابتدعه توم ماين، المهندس المعماري الأمريكي في أوائل التسعينيات (...). إنه على الأرجح واحد من أكثر المفاهيم العميقة التي لم يسبق أن وضعت داخل النظرية المعمارية الحديثة.

² هل يمكن أن يلتقي بيتر سلوترديك بجلجامش؟ (عشبة، الخلود/ مدينة الرغوة).

بأن اكتشاف سؤال قيمة الحادثة ومستقبل ما بعد الحادثة بات من السهل الإجابة عليه؟.

انفتاح الفكر على مشروع سلوترديك، يحيلنا إلى مدى ضرورة إعادة ترجمة كل المعطيات النظرية في كل الفصول المرتبطة بالحادثة وما بعدها؛ فالحقيقة الموضوعية تكشف لنا عن كونية عيشنا إحياءً جديداً، تتراحم فيه المعطيات القديمة بالراهنة، لتكوين الحالة المقررة للفكرة التواصلية وأن هذه المقاربات أقرب ما تكون إلى إدراك ما نعرفه وما نريد معرفته وما نخشى معرفته؛ نحن لا نختلف عن قولنا بأن غمار المعرفة وإيجاد التدبير المستقيم لها، يجعلنا نكسب وعياً وإدراكاً، كوننا متقنين في الوجود مع توافق التكامل المعرفي بدلا من التجزؤ الإنتاجي، على أنه منتج أيضاً، وعلى هذا الأساس فإن العارض العام سيخضع من حين إلى آخر ووفق رغبة تواصل سلوترديك إلى النمذجة التالية³:

³ انطلاقاً من خاصية (التحديد/ اللاتحديد) نقوم بربط نموذج التوليد الذاتي للإنتاج/ التلقي بالرغبة وصناعتها وفقاعات التواصل، فظهور الفقاعة جميل ومغري نحن نستمتع بذلك التوالد لها، لكن وفي المقابل، لها سرعة التلاشي والانفجار، لكن ستخلف حتما فقاعات أخرى لخلق فقاعات التواجد الإنتاجي/ التلقي، وهكذا يسير نظام التوليد الذاتي.



تسوقنا الرغوات المثلة في الشكل (01) إلى استنباط جملة من الاحتمالات المكوّنة أو التي ستكون على الأقل - مجالاً لا محدوداً من الانقلابات أو التحولات نذكر منها: التخمين، والتأويل، والتفسير، والفهم، والإدراك، والتجاوز، والتعقيب، والملاحقة، والإقرار، والتجاوز مرة أخرى، والتعديل، والتسارع ...، فيحقيق كل ذلك إلى الغربة بالاختزال، للأنظمة الدالة والأنساق العامة المؤسسة بذلك جلّ المفاهيم

التي تستوعب أيّ شيء وكلّ شيء¹، داخل فقاعة أكبر؛ فقاعة ما بعد حداثة، وكأننا سنتعامل مع عالم وجد في المجال المفتوح واللامحدود ضالته، وفي مثل هذا السياق؛ تتشكل المعارف النظرية بحلّة جديدة، انطلاقاً من الإقرار العام على وجود تحول كبير تعيشه الذهنيّة، وذلك أنّ هناك نمط في التفكير مغاير عن سابقه، اكتساح من نوع آخر لجيل تتحكم فيه متغيرات تسمح بالإنتاج الجديد، ويمكن الزعم بأن هذه المتغيرات ليست مجرد أساليب للبناء والإنتاج فحسب، بل هي منظمة مُهيكلّة داعية للمجالات الأوسع وتحت إلهام العصر وما بعد العصر، قيام استجواب مُعمّم، حول مصير العالم بعد انفجار هذه التحولات الكبرى، على جميع الأصعدة، كتجربة لقيام عصر جديد حامل للمفاهيم والعالم الجديدة، وكبداية استقلال تكامل المعارف، مستخدمين في ذلك (التحديد/ عدم التحديد) انطلاقاً من تشظي طبقات المعرفة حيث يخلص الحديث وفقاً لما قاله سلوترديك؛ إلى وجود لثامٍ قد تميّطه الدراسات النقدية في شعارات جديدة، وقد تحسن أخرى في تجاهله واعتماد كلّ ما هو قديم وتراثي فقط.

¹ نيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، مصر، ط 1،

نحن أمام شيء في شيء آخر، و: شيء ينتمي إلى شيء آخر، لا يجب أن يؤخذ بمعنى واحد¹، فهذا التوثيق الذي يصنع اللحظة الحاسمة للتغير لا تزال دعائمه غير ثابتة، ما يبرر ذلك تهافت الرؤى عند زيجمونت باومان²، فهو الآخر لا يعطينا لقطة ثابتة لصورة ساكنة بل يُمِيع لنا لفاهيم والمدرجات كل حسب الحيز الذي تشغله مسميًا كل التحركات والتحويلات في ظل رهانات العصر بـ"الحداثة السائلة" التي تقوم على منطق الاستهلاك بمعناه العميق للمكان والقيم والأشياء والعلاقات في ظل عصر العولمة⁴، ذلك أن محاضن التحويلات خلقت إشكالات بالجملة، لتعيد بناء المشهد من جديد وسط أنواع من الاستلزمات العائمة والسّابجة في سيولة

لوس إيريكاري، كيف تشارك المادة في الأفكار، تر: عبد الرحمان مزيان، مجلة لوغوس، تصدر عن دار الكنوز، تلمسان، الجزائر، ع الأول، جويلية 2012، ص 146، 147.

² زيجمونت باومان: ولد عالم الاجتماع البولندي يوم 19 نوفمبر 1925، شغل منصب أستاذ علم الاجتماع في جامعة ليدز سنة 1971، عرف عنه أنه سوسيولوجي الحداثة وما بعدها، حيث تشكل مؤلفاته التي ترجمت إلى العديد من اللغات حاجة ملحة لفهم الواقع المابعد حداثي، فقد عمل على المزج بين علم الاجتماع، والأدب الشعري والفلسفات النظرية في مختلف أعماله، فالحداثة وما بعدها هو أهم مشروع بدأه، حيث توج في مطبع الألفية الثالثة بكتاب يحمل عنوان الحداثة السائلة لوضع رؤية عامة وشاملة للفكر والمجتمعات الغربية خاصة. ينظر: عبد الإله فرح، زيجمونت باومان والسوسيولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، نوفمبر 2017، ص 13.

³ زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، تق: هبة رعوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، ص 12.

⁴ المرجع نفسه، ص 12.

العصرنة، لكنّ توظيف باومان للسيولة لا يعني أنّه يساويها بالفوضى إلى درجة انعدام أو تهاوي التّسق أو النموذج أو المنهج¹ بل بقدر ما نحو التكيّف، ومسايرة الحالة التي ترمي إليها الواقعة الحالية. فالحدّات السائلة، تستكشف في صورتها العامّة الأنماط الجديدة القابلة للتجربة والقياس والفرضية والنتيجة، ليس من جهة الإلزام بقدر ما تميل إلى جهة الأفراد العملي المكيّف وفق رؤية وتصوّرات تأخذ انعكاس النموذج السائد والراهن، لأنّنا نواجه الآن فترة من فترات "خلو العرش"، إنها فترة تتعطل فيها الممارسات القديمة ولا تصلح فيها أنماط الحياة القديمة والمتوارثة أو المكتسبة في التعامل مع الوضع الإنساني الراهن²، لهذا التوصيف حدّان اثنان، حدّ يرفض التعامل مع كل ما هو قديم متوارث، ومكتسب، على أنّه حد لا يستطيع مواكبة الإنسان والراهن من الزّمن، وحدّ مازال يتعطش إلى مستقبل جديد، وحالم. لم يكتف بأنماط الحياة الجديدة وتحدياتها، وإن بدا التفكير في لاحق الأمر، بعيدا كلّ البعد عن وجود حقيقة ثابتة، فلا نعلم حتى الآن الأنماط والأطر الأخرى التي لا بد من إذابتها وجميعها واستبدال أنماط وأطر جديدة بها، وإن بدت جميعها غير محصّنة من النقد، وإن كانت جميعها قد خصّصت للاستبدال³. من أجل هذا؛ نجد أن التغير الدائم، والتحديث، والتحيين في مجالات عديدة لأمر

¹ ينظر: زيجمونت باومان، الحدّات السائلة، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 25.

³ المرجع نفسه، ص 25.

بات من أولويات الفكر، ومن أبرز موضوعات النقد عموماً. وأن يدخل هذا الأخير "عالم الصيرورة" الدائمة، رافضاً الاكتمال والتعريف التام^{٢٦} وما يمكن الوصول إليه غالباً، لا يعد وأن يكون تسوية لحظية أخرى يعلم الجميع أنها حالة مؤقتة "حتى إشعار آخر"^{٢٧}، وهكذا هي الحداثة وما بعدها على نظام الصيرورة تعتمد. وعلى هذا؛ فإن الحديث عن ما أسماه باومان بالحداثة السائلة، إنما هو حديث عن "ما بعد الحداثة" فعدم وجود الحد النهائي للحالة هو الأصح، أي دون وجود "حالة نهائية" في الأفق، ومن دون رغبة في وجودها^{٢٨}.

تنوّعت هذه الدغدغة في المفاهيم والمدرجات والنظريات، إلى وجود حملٍ ثقيل متباعد الحمولة، متقارب السُمك، يعمل جاهداً على جعل اللحظة ذات أفق حريّ بنا أن ندعوه بالأفق المفتوح، أو الأفق الخفي لمستقبل مجهول. وعليه، علينا أن نحدد بداية مصطلح السيولة من جهة التوظيف الشارح والقاصد للفكر المعاصر، وعلاقته بالنقد والتنظير الأدبي عموماً؛ هنا نضع كلّ المفاهيم التي تبلورت في الحداثة وما بعدها، إلى امتحان سؤال العولمة والتطور التكنولوجي، كأن تظهر هذه الأخيرة إحدى مقومات الفكر ودعائمه أو من أساسياته ومرجعياته الحاضرة تحت ضغط

^{٢٦} المرجع نفسه، ص 26.

^{٢٧} المرجع نفسه، ص 26.

^{٢٨} ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

العصر، ولنا جواز أن نفهم السيولة بأنها المرونة التي تقف في وجه الصلابة في كلّ الميادين¹ أي هي التوصيف الحالي للحياة المعاصرة ومدى تأثير ذلك على كلّ الميادين، ما يؤدي بالفكر إلى استخلاص تقنيات جديدة لفهم النظريات والمجالات العامّة والخاصّة، وقد تكون العملية ملء خواء منهجي. أو إضافة ما كان ناقصاً، أو زيادة معالم إلى أخرى، فمفهوم السيولة كما يوضحه باومان، هو ما يجب علينا إدراكه على أنّ هناك تغييراً في المفاهيم، ووجود صراع واضح بين ما كنا نتصوره وبين ما تمّ طرحه من تصورات جديدة عن كلّ ما يحيط بعالمنا،² والواضح هنا وجود عالين يتصارعان: عالم واقعي (زماني) وعالم افتراضي (تفرضه العوالم التكنولوجية).

وعلى هذا الأساس ينبغي علينا نقل هذه التحولات الكبرى التي تشهدها الإنسانية جمعاء إلى النقد والأدب، من منطلق أنّ النقد والأدب وجهان لعملة واحدة من جهة، ومن جهة أخرى، أنّ الأدب قد انتقل من الحالة الورقية إلى الحالة الإلكترونية. ومن هذا الباب نكون قد دخلنا ذلك الصراع بين الورقي والإلكتروني، وبين تطبيق النظريات النقدية على هذا

يسرى وجيه السعيد، مصطلح السيولة المعاصرة وارتداداته عند زيجمونت باومان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، ديسمبر 2016، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 14.

النص الإلكتروني، وبين إعادة فهم النقد والأدب تحت ظلّ هذه التغيرات جميعاً¹ فالسيولة التي تتسم بها أزمنتنا جعلت كل شيء في حال مخاض دائم² "فنحن أمام ترسيم لا محدود ولا متناهي للمفاهيم والمدرجات بحثاً عن إجابة صعبة الإمساك، على أن تقدم جاهزة، وهو الأمر الذي يجعلنا نقرّ بأن للنظريات النقدية والأدبية قواعد تخضع لمتتالية زمنية تشكل محورا كبيرا في قراءة ما استهلك بشيء من التكرار والبحث عن نماذج أخرى تمكّنتنا أو تحفزنا بالأحرى، على فكّ عقال الثابت المتحوّل، والمتغير الثابت طبعاً في ثنايا تحليل إمكانية الوجود،³ Spatialization of existence.

دون شك، ومن المؤكد أننا نمر بمرحلة الاستهلاك، ونأخذ للاستهلاك المنحى العميق لا السطحي، فدينامية المؤقت تحكم الغالب الأعم، من ناحية، ومن ناحية أخرى، حتمية الاستهلاك السريع كمعبر عن احتمالات عديدة، يدفعان بالمفاهيم والمدرجات والأشياء، إلى قوانين لعبة جديدة، لكن إلى حدّ ما، ليس الاختيار فيها عاملاً محرّكاً بقدر ما تفرضه الكينونة والوجود من قوانين استثنائية توجبّ العمل بها واتخاذها سبيلاً آخر

¹ يخلق التماهي في مفهوم الحداثة السائلة وأبعادها العميقة، جملة من التساؤلات منها: في ظل السيولة المعاصرة ووجودنا في عصر مولع بالعولمة والتكنولوجيا، هل يجوز لنا اختلاق تصورات جديدة تمكن لنا فهم النظرية النقدية بشكل مغاير للمفاهيم السابقة؟ ماذا عن النص الإلكتروني والتفاعلي ووجوده بين طبقات المفاهيم الجديدة لنظرية القراءة والتلقي؟

² أنديرا مطرا، عصر الحداثة السائلة "أقول الإنسان العمومي، القيس الإلكتروني، 14/مارس/2019، 17:52.

³ ينظر، المدخل من هذا البحث 10.

لصناعة وإنتاج الجديد في وقته فنحن أمام عمل إنتاجي لآليات إنتاج المعنى والخطاب في عصر إتاحة المفرط ونهاقتنا عليها⁴.

تُعزى الشبكة الكثيفة من علاقات الاعتماد على المناهج النقدية المعاصرة في التحليل والاستنباط، إلى تعدد الفهم والإدراك من جهة، وإلى متغيرات العصر من جهة أخرى، ونحن لا نختلف كليّةً في ما هو ثابت ومتأصل، بل نحن نقابل ولدنة جديدة تُعزى إلى انتشار الفهم والإدراك بشاكلة مغايرة من جهة، وإلى متغيرات العصر من جهة أخرى أيضاً، وهو الحال الذي تفرضه ثقافة العصر الراهن أو ما نعبر عنه بروح العصر، وهنا يمكننا القول بأنّ مصير المعرفة الجديدة اليوم؛ هو مصير متعدد القوى بحيث لم تعد هناك قوة واحدة تستطيع أن تزعم بحقها المطلق أو النفوذ الذي لا حدّ له⁵ ما يجعلنا نؤمن بفكرة الفردية أو الدور الفردي في انتقاء واختيار الشاكلة المنهجية (تنظيراً أو تطبيقاً)، طبعاً ذلك يكون مقترناً بالأولويات

⁴نحن لسنا أمام الإجابة عن ما إذ، كانت هذه الحداثة السائلة أفادت أم م تفد الإنسان، أو أنها إيجابية أم سلبية النتائج، فنحن أمام باب نرى أنه من الأفضل أن يمتنع جيّداً أمام النظريات الأدبية والنقدية، بما فيها نظرية القراءة والتلقي على العالم الراهن وكيفية تعاملها معه، فهل ستتغير مفاهيمها وقواعدها لنرى نظرية جديدة انبثت على قواعدها مع إضافة التكنولوجيا والعلوم والمعارف المعاصرة؟.

ينظر: هبة عزت رؤوف، الحداثة السائلة، من فعاليات البرنامج الثقافي المصاحب لمعرض الكتاب العربي الأول في اسطنبول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، موقع يوتيوب، 2019/03/17، 16:42.

اللازمة التي يتطلّبها كلّ منهج مهما كان، ويضرب باومان مثالا على دور الفرد في عالم اليوم، فالرجل الذي يجلس على مائدة حافلة بأطباق من أشهى أصناف الطعام، الخيارات كلها متاحة أمامه في أن يتناول ما يريد وأن يترك الباقي، وهو بطبيعة الحال يأمل بأن يتذوق جميع تلك الأطباق، وهنا تظهر أهم التحديات أمام المستهلك في عصر الحداثة السائلة، وهي مسألة (تحديد الأولويات)²؛ فالفردية بحسب باومان، هي الروح المستقلة المشكلة للاتقاء، فأصبح العالم خاليا من ذلك الأخ الأكبر الذي ذكره جورج أويل في روايته 1984³، المراوغة والهلالية تجاوزت المفاجأة الحاملة للمفاهيم الراهنة، دعونا نقول المابعد حداثيّة. وكان الناقد الأمريكي الكبير إيهاب حسن المصري الأصل، قد أوضح في مقال له عام 1980، بعنوان "قضية ما بعد الحداثة" بأنّ زمن ما بعد الحداثيّة هو زمن استحالة التحديد⁴، وعليه نجد أنفسنا نقف أمام مفاهيم تحمل -جوازا- ما يلي: هلامية المفهوم، مراوغة للأسس والمعايير، متجاوزة للحدود والضوابط، مفاجأة حاملة لعنصر الدهشة، مستترة خلف السؤال الدائم، والبحث المتجدد؛ فلا تقبعل على التعيين مرجعيّتها ومحاورها ونظريّاتها. وفي وقع حديثنا؛ قد نوضّح متسائلين: هل هناك تقابلات بين المفاهيم الحداثيّة وما بعد حداثيّة؟

² محمد يسري أبو هدور، عندما تصبح الحداثة سجنا للإنسان، الميادين نت، 2019/03/17، 18:44.

³ ينظر: زيجموث وباومان، الحداثة السائلة، ص 104، 113.

⁴ تبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص 521.

نحن أمام أفاق متباعدة وأخرى متقاربة، وأخرى متقابلة أيضاً، فهذا إيهاب حسن¹ يقدم لنا في سياق الممارسة والتعليل والترهين سلسلة من التقابلات بين المفاهيم الحداثيّة وما بعد الحداثة، يمكن تلخيصها كالآتي²:



¹ إيهاب حسن: يؤرخ لما بعد الحداثيّة منذ عام 1971، فهو من أئمة النقد الذين ركزوا على المابعد حداثيّة في النقد والدراسة، كما يصنف من الرواد الموضوعين الذي يكشفون عن سلبات ما بعد الحداثيّة، ينظر: نبيل راغب موسوعة النظريات الأدبية، ص 535.

² ينظر: نبيل راغب، موسوعة النظريات النقدية، ص 537.





ومن ثم؛ فإنه من الإسفاف، بل ومن الخطأ أن لا نتحدث عن تحوّل دائم للنظريات النقدية، فنحن بحاجة ماسّة إلى إعادة ضبط المحتوى، مع مراعاة كلّ التحولات الرّاهنة التي ستدخل لاحقا النظريات إلى مراحل جديدة تحتاج منا عنصُرَي: المواكبة والإنتاج. وعلى هذا الأساس نحن بصدد تفكيك الواقع والثقافة والفكر، ما جعل سعيد يقطين في مؤلفه، من

النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي إلى وضع وتحديد رهانين اثنين:¹

-دخول العصر، والعصر الإلكتروني، أو ما يسمى عصر المعلومات.

-أن يكون لها موقع، ووجود وتأثير ضمن باقي الثقافات.

وبدخول هذين الرهانين إلى عالم الإنتاج/ التلقي، من الممكن بل من الضروري الوقوف على كلّ النظريات المطروحة في الساحة النقدية والأدبية وإعادة إعطائها روحاً جديدة، تخضع لرهان العصر، فالمعايير الجدلية التي تخلقها رهانات التحول تجعل من النموذج القائم نموذجاً لا يكتفي بأحادية الإنجاز، أو الحقيقة المطلقة -إن صح التعبير- ؛ وبهذا المفهوم. يعرج بنا الخطاب المابعد حداثي، إلى نمذجة تتميز بالأشكال المفتوحة، المرحلة المتقابلة الطموح الانفصالية المتروكة بدون تحديد لتكوين خطاب مؤلف من شظايا أو أيديولوجيا التصدع التي تعتمد إلى التحليل والفض، وتستنطق الصّمت² وهو الذي أشرنا إليه سابقاً تحت مصطلح استحالة التحديد فتكون الدائرة محتواة في المصطلحات التالية: اللاتبات، والحركة المستدامة، والتجاوزات، والانتهاكات القدر الذي يجعل التأويل أكثر انفتاحاً ومواكبة لأنماط وأشكال التحوّلات الكبرى الخاضعة

سعيد يقطين، من النص إلى نص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، لدار البيضاء، ط1، 2005، ص17، 18.

² نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ص543.

للمعطيات المتغيرة الفضفاضة التي لا تركز إلى ثابت معين، فنجد أنفسنا دون أيّ مطّة بداية أو نقطة نهاية، الأمر الذي يجعلنا نقرّ بوجود صور جديدة للتواصل، فيضطلع في الغالب الأعم إلى تحديد معارف جديدة حيث يؤدي ذلك إلى خلق أداة جديدة للتواصل في مقابل إنتاج أشكال جديدة للتواصل، نتيجة وجود تفاعل مع بعضها كلّما قيض لها ذلك¹ فالعالم المعاصر بكلّ تجلياته الجديدة أصبح فقاعة رغوة، تختلق باستمرار استجابات جديدة ولحظات حاسمة،² ما يؤدي بنا إلى اختراع مفردات جديدة تماماً للنظرية النقدية عموماً ولنظرية القراءة والتلقي تحت ضوء الأدب الإلكتروني خصوصاً. واعتقادنا بهذه الضرورة والحاجة الماسّة إلى خلق هذه المفردات يلخصه سلوترديك مجدداً بقوله: "إنّ المصطلحات والمفردات القديمة أصبحت عديدة الجدوى لأن كلّ اللغات الطبيعية القديمة، بما فيها الخطابات النظرية، طورت لتناسب عالم الموارد الصلبة والثقيلة وتبعاً لذلك فإنها لا تستطيع التعبير عن خبرات عالم الضوء والعلاقات. وهكذا فإنها غير مناسبة لرسم الخبرات الأساسية للحدّات وما بعدها التي ركبت العالم"³. هذا بالفعل يسمح لنا بالاجتهاد نحو مساق

١. لسنا أمام الاستهلاك المطلق والتمام للمنهج وما يُروّجُ له، من ثقافة عصره سائدة، نحن أمام طرح تفاعلي يتعالم مع الآخر في أصعدة عدة، نحاول فيه دمج الرؤى والنظريات بالصروحيات الجديدة والتي نجهدها تفرض نفسها بقوة، كما لا يخفى علينا القو، بعدم التكرار والتقليد.

² ينظر: أمانى أبو رحمة، أفق يتباعد من الحدّات إلى بعدما بعد الحدّات، ص 182.

³ المرجع نفسه، ص 187، 188.

جديد يحول النظريات والقيم من طابعها المعتاد إلى ما يواكب العالم اليوم والفكر الحالي¹، ما يجعلنا نرمي في هذا السياق إلى فاعلية الوسائط داخل المحتوى التواصلية بصورة تحدد معالم الخطاب المقدم بوجود تحقق منفتح يلامس أجزاء رهانات العصر وتحولاته على مختلف أصعدة التغيرات الدالة والغير دالة في السياق ذاته.

يجدر بنا القول، إنَّ العديد من النظريات النقدية انخرقت في معالجتها إلى أنظمة متعددة الأوصاف والظواهر. ففي خضم هذا لمحيط المتلاطم الأمواج بسلبياته وإيجابياته، نلاحظ توظيفات جديدة ذات أنظمة ذاتية في أي زمان بعيدا عن الرجوع التاريخي إليها فالإنتاج يتفاوت بتفاوت حصيلة الأفكار العامة والتطورات، والتجارب والأطر المعرفية والقيم الفكرية وغيرها، والخصوصية الثقافية العلمية والأكاديمية باتت مجالا مفتوحا، لا يحمل صفة الانغلاق، فنسجل وفق هذا التصور اتصالات جديدة بالتحقيق، حتى وإن كان ضمان فعاليتها ونجاحها ضئيلا. فالجهد في فهمها بعله العوائق ضئيل.

لا يخفى علينا أن سلوترديك كان يوظف الصور، الأمر الذي يعد غريبا في الكتب الفلسفية، هو لا يوظفها للتوضيح بل بوصفها سرديات موازية وهي طريقة معاصرة تجعلنا نشير إليها مبدئيا على أنها صفة معاصرة قبل الدخول إلى عالم الميديا، ينظر: المرجع نفسه، ص 188.

لا يمكننا التعميم هنا، فخاصية الانتقاء سارية المفعول كل حسب الخصوصية الموائمة والملائمة، كما أنَّ التنوع الاصطلاحي وإن كان كثيرا، فإنه يفرض بالضرورة منهجا يعينه دون الآخر.

التحولات الوسائطية (الوسائط الجماهيرية/ الوسائط المتعددة) :

من الطبيعي جدًا أن لا تتأثى الفنون والعلوم على البشر، من السماء كمعجزة غيبية، بل تبلور من جهود البشر أنفسهم. بهذا المعنى كان الانفجار الفكري في سائر المنظومات البشرية قائما على أسس ومعايير، تنبني وفق حالات لا متناهية من الوسائط التواصلية، ما جعل من عملية المثاقفة وسيلة هي الأخرى لتبادل الأفكار والتقنيات المختلفة، فيغدو التضخم المعرفي في زيادة هائلة على طول المساحات التراكمية الثقافية على تنوع مشاربها واتجاهاتها؛ فعملية تحفيز العصب الاجتماعي الثقافي على اختلافاته الجمعية والذاتية، لم يكن ليأتي لولا وجود عامل مساعد للسيالة الانتقالية الحاملة والمتطلعة للجديد دوماً، وعليه تولدت وسائط متنوعة ومتعددة كي يكون لها الدور الفعال في تنشيط ما كان وما يجب أن يكون كأقصى تعبير عن ما يريد الفكر الوصول إليه.

الوسائط الجماهيرية:

يشكل الجمهور² في الخصائص العامة، قوى لها مفهومها الخاص، كما لها ثقافتها الخاصة أيضاً، فالجمهور يمثل كلاً متكاملًا، يتضمن مسارات

²الجمهور: إن كلمة الجمهور تعني في معناها العادي تجمعا لمجموعة لا على التعيين من الأفراد، أيّا تكن هويتهم لقومية أو مهمتهم أو جنسهم، وأيّا تكن المصادفة التي جمعتهم، ينظر: غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ت.تق: هاشم صالح، دار السامي، لبنان، بيروت، ط1، 1991، ص53.

مختلفة تجعله قائما على صفة الخصوصية المطلقة. لأن الرسالة الجماهيرية تخضع إلى عوالم اتصال معينة بذاتها. تخص رسالة دون غيرها، فمراعاة البرنامج التواصلي الجماهيري يعيرنا اهتماما كبيرا في التلقي والتداول، لإحداث تمايز نوعي خاص بمرحلة دون أخرى، حيث يشكل التجمهر روحا جماعية جبارة ولكن مؤقتة¹ لأن الحجم الذي يتم التفاعل فيه يكون بشكل نسبي، يُخلف في ظرف معين لأمر مخصص يفرض زمان ومكان محددين، ما يفرض قولنا إن دور الجماهير على اختلاف تأثيراتها لها تدرج زمكاني معين يقاس من خلاله مدى التأثير والتأثر الفاعلين في برنامج التواصل الخاص بالوسائط الجماهيرية، ولعل معرفة نفسية الجماهير اليوم بات من الأساسيات التي نعرف من خلالها مدى تأثير ما يمكن طرحه على الصعيد الأدبي والنقدي والثقافي وغيرهما، أو بالأحرى رؤية مدى التلقي والتأويل مع هذه الأخيرة.

تصنع ولادة القوة الجماهيرية من الحدث الإنتاجي مفارقات متعددة ومتنوعة ذلك أن الكاريزمات المناسبة تتبلور من التاج المعرفي الخاص بكل مرحلة من مراحل تشكّله، على أن النصوص باختلافها، تتوسع وتتعدد باختلاف المتلقي الجماهيري الواحد فنجدها أي الوسائط الجماهيرية تتمثل إلى شروط معينة من المتلقي دون أخرى وذلك لإنتاج خطابات في سياقات بذاتها دون غيرها. وطبعا على مقاصد معينة دون

¹ غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص 41.

غيرها وعلى الرغم من كلّ هذا التأثير والتأثر القائم على أساس الوسائط الجماهيرية، إلا أن الأمر يبقى نسيئاً وغير كاف للإحاطة بجباياها وأسراره أفلا تزال معرفتنا بها ضعيفة جداً؟ ففي الغالب الأعم، نجد أن المنتج يعرف فقط الخصائص التي يريد من متلقيه، فيعمل جاهداً إلى الوصول إليها عبر منافذ (يعلمها/ لا يعلمها)، (ينتجها/ يصنعها/ يتفاعل معها ...)، وإننا نعلم جيداً بأنّ للوسائط الجماهيرية مدارات توليفية جدّ خاصة يتحكم فيها زمام التعدد والتنوع، وقد يكون المحرك المنتج أحد أسباب ذلك.

وعلى هذا الأساس، لا يمكننا الحديث عن التحولات الوسائطية القادمة دون الإشارة إلى الوسائط الجماهيرية، ذلك أنّ نضال الجماهير هو القوة الوحيدة التي لا يستطيع أن يهدّدها أي شيء، وهي القوة الوحيدة التي تتزايد هيبتها وجاذبيتها باستمرار²، فالخضوع إلى القوانين العامة والخاصة للتواصل والاتصال لإحداث إعلام معين يأخذنا إلى (نص) ذي مستويات عديدة مع وجود (متلق) ذي أبعاد معرفية معينة فالتمييز بين التواصل والإعلام والاتصال يجعلنا ونحن نصل كلّ ذلك بـ"النص" ينتقل في مستويات عديدة (...) وعليه فنحن مطالبون بتحديد مجال النص في نطاق تواصلية يتصل بالأبعاد المعرفية للنص"¹ ما كان القول في ذلك لولا

² المرجع نفسه، ص 47.

³ المرجع نفسه، ص 44.

سعيد يقطين، من النص إلى نص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ص 111.

وجود دلالات عائمة وعائمة لمعانٍ حاضرة أو مؤجلة تخضع للثقافة الجماهيرية¹ والتي تعتبر كهندسة رمزية معقدة ومركبة يعتمد المجتمع إلى ابتكارها ويتعهد بالصّون والتعديل والترميز والهدم، كلما اقتضت الحاجة لذلك¹.

تعددية الوسائط الجماهيرية:

يتواصل الوسيط الجماهيري في أساسه بمجملته من الوسائل هي الأخرى تساهم في عملية (التلقي/ الإنتاج، الإنتاج/ التلقي)، بشكلة تحصر زمان بعينه ومكان بذاته داخل مكونات عصر ما دون عصر آخر، تلبية لحاجات المتلقي الجماهيري، فنجد الإنسان قد عرف الكتابة لتصبح الوسيلة الأنسب للتواصل ونقل الأخبار ومشاركة الأفكار ... ففي البداية كان ذلك عملاً يدوياً، وبطريقة تقليدية تامة لتتطور في ما بعد وتنتقل من اليدوي إلى الطباعة التي يرجع الفضل إليها في زيادة نسبة التواصل وتحسينها بل وأحدثت ثورة فكرية وثقافية واتصالية والمساعدة على انتشار الكتب والمطبوعات والمجلات.... ونحن هنا نشيد بالدور الفعّال الذي ساهمت فيه الكتابة الورقية من تطوير للأدب والنقد سواء كن ذلك قبل

· الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة -أمودجا- أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع الاتصال كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة 2016/ 2017، ص100.

الصحافة³ أو بعدها، من ظهور الأعمدة والزوايا والأركان الخاصة إلى جانب جعل القراء يتعرفون على إنجازاتهم الإبداعية. الاجتماعية والسياسية والأدبية والنقدية في زمان قياسي وصارت المواد المنشورة في الصحف والمجلات تجمع بعد ذلك في كتب مطبوعة¹ فالأداء الوسائطي الجماهيري في هذا الشق، قد لقي استحسانا وإقبالا كبيرا لدى شرائح القراء، ومن خلال ذلك يجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا الوسيط الجماهيري قد أنتج جيلا من القراء مغايرا تماما للأجيال (السابقة أو اللاحقة) كما أن الإنتاج في حدّ ذاته كان يحمل صفات وميزات هي الأخرى تتميز عن سابقاتها، لتترك إرثا للتلقي يخص الكتابة والورق فقط، ونحن نعلم جيدا أنّ الممارسات السردية تغيرت بتغير وسائط التواصل الجماهيري من الشفاهي إلى الكتابي، ومن الطباعي إلى الرقمي². ولأنّ الفنون والثقافة والأدب والنقد وغيرهما من المجالات، تفرض ضرورة مسايرة العصر من تطورات فكلما تطوّر الفكر البشري وتطوّرت آليات تفكيره تغيّرت

³ الصحافة. لقيت بالسلطة الرابعة على حد قول بورك Bork الإنجليزي منذ القرن الثامن عشر، هلال ناتوت. الصحافة نشأة وتطورا. الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2006، ص 14.

¹ سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الأمان، المغرب، الرباط، ط 1، 2012، ص 35.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

أشكال تعبيره، ومن ثمة تغيرت إدراكاته للأشياء والحياة العالم، لتتحول مرة أخرى الكيفية والوسيلة لتغير معها آليات التوصيف، مع ما أحدثته التكنولوجيا في البداية كان الورقي الكتابي ثم تحول إلى السمعي البصري، ولعل الصحافة مرة أخرى هي المثال الأنسب لذلك، فتتمّط الوسائط الجماهيرية هنا باستعمال صيغ جديدة من التواصل تعتمد على الصوت (التسجيل) والصورة (التصوير)، تبعا لتداعيات العصر التكنولوجي التي نجمت عن الثورة الصناعية لتتقل بكيفيات مختلفة ومسافات زمانية متباعدة، حتى تكون في الصورة عند حدّ قولنا عن الصحافة كمثال ذلك فإننا سنضيف الإذاعة والتلفزيون والسينما ... لتتسع ورقة الأشكال التعبيرية من المطبوع والمسموع إلى المرئي⁴، فهذا الانتقال الصّادم، أحدث هو الآخر ثورة أدبية ونقدية من نوع آخر، كما أن المتلقي في زمن لكتابة والطباعة قد انتقل إلى مراحل جديدة من تلقيه، على أنه متلقٍ ذو صفة متغيرة ومحدثة بل وتحسينية إلى أبعد الحدود. كما أن ظهور شرائح جديدة من الطبقات القرائية أمر حاصل بالإضافة إلى ظهور نقد سردي يتعالق مع تطوير المعرف والعلوم الأمر الذي غير في الكثير من المستويات التقنية للسرد والنقد والتلقي والإنتاج وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، يقدم سعيد يقطين ارتباطا وثيقا بين تلك التحولات ومدى تأثير الأنماط السردية

³ زهور كرام، لأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2009، ص12.

⁴ ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص35.

وينحصر بالذكر الرواية، على أنها النوع السردي الأكثر تجاوبا مع التحولات العصرية¹، على أنها في لاحق الأمر ستستخدم الأدوات الوسائطية والتفاعلية من جهات متعددة، وباستخدامات تخضع للمستخدم الإلكتروني على تنوعه مع مراعاة قدراته في التحكم الكلي/ الشبه كلي؛ فمن الجانب التقني، يرى بأن:²

-اللغة: من لغة ثقيلة إلى لغة وسطى، يمكن أن يتفاعل معها كل قارئ مهما كان مستواه التعليمي، وهي اللغة التي أفرزتها هذه الوسائط الجديدة.

***البناء:** بعد أن تنوعت المستويات البنائية والتنظيم النصي من أنواع قديمة شفهية كانت أم كتابية أم فنية من أفلام ومسلسلات و مسرحيات و تمثيليات...، استطاعت البنية الروائية أن توظف مختلف تقنيات الوسائط الجماهيرية التي نجدها في الصحافة: التقطيع المشهدي، مختلف أشكال الحوار، البعد الوثائقي والتسجيلي - التحقيق - توظيف المفارقات الزمنية، وخاصة تقنية الإرجاع، تقديم الحدث الواحد من منظورات متعددة...

***التفاعل:** تبين ذلك من خلال تفاعلها مع مختلف أشكال التعبير والتواصل والاستفادة منها في تشكيل عوالمها: من سينما ومسرح و عوالم الموسيقى و الصورة والتشكيل...

¹ ينظر: سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص 36.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 37، 38.

لقد نجم هذا الانفتاح بخصوصياته المختلفة، عن الوسائط الجماهيرية وآثارها المختلفة أيضا، ليكون في ما بعد فهما ووعيا جديدا ذا أدوار مختلفة تعمل على التغيير التدريجي للمفاهيم النظرية النقدية، على أن النقد يواكب كل تغير سردي حاصل، وهذا طبيعي، لأن الوظيفة السردية الحقة هي نمط محرك لبنيات نقدية بالمعنى العم أو الخاص، وتعمل على تشكيل عوالم وآفاق رائدة في نظريات نقدية مختلفة.

الوسائط المتعددة: ... نحو عالم الرقمنة والنقد البيئي المعرفي:

يستدعي دخول العصر، توظيف اللغة المناسبة له للتواصل والإنتاج والتلقي، شهادة ميلاد جديدة تكتب لحظة ميلاد عصر جديد، عصر مولع بالتكنولوجيا، يفتح فيه المثقف على صناعات جديدة يمكن الاضطلاع بها في مجالات متعددة، فنحن أمام شبكة من الإنتاج والتلقي تصنع حدث الانتقال - من / إلى - وسائط متعددة من التكنولوجيا والمعلوماتية والرقمنة...، فمع أواخر القرن العشرين، ومع ظهور الحاسوب حصل تطور كبير على مستوى الوسائط¹ الأمر الذي لا يمكن إنكاره، هو أن المستوى النقدي والأدبي قد واكب هذا التطور الحاصل في المنظومة الإنسانية والفكرية حيث لم يقعد هذا التطور حبيس أجهزة الحاسوب فقط، بل تطور بتطور التكنولوجيا، فمن الحاسوب إلى الرقمنة المعاصرة من هواتف ذكية، لوحات الكترونية، أجهزة الإسقاط الضوئي،

¹ سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، ص 41

اللوحات الذكية ، كذلك أنظمة الأوندرويد الحديثة والمعاصرة، كما أن لتحديثات وتحسينات الأنظمة الخاصة بالأجهزة نصيب في ذلك أيضا، فالثورة الوسيطية في بدايتها تظهر لنا بجلاء مع الوسائط المتفاعلة التي تتجسد من خلال الحاسوب الموصول بالفضاء الشبكي، لقد نجم عن هذا التحول الكبير ظهور الرواية المترابطة (Hyperfiction) التي تستثمر إمكانات الحاسوب وبرمجياته المتعددة المتصلة بالكتابة والصورة والصوت²، فما تتيحه الخدمات التكنولوجية يساهم في إمكانية الوصول إلى أنماط جديدة للسرد والنقد، وهي رؤية لا تعني سوى هيمنة التغيير التي تفرض نفسها سواء كانت لسهولة أو الإتاحة العامة (أي متاحة لدى الجميع) أو ملائمتها لإقناع الآخر، أو الذات... قد تكون من جهة أخرى مبررات تسعى لتسوغ جوا ملائما للبروز أكثر وتغطية لعيوبها، ومدخل التطور هنا تطوير رؤيتنا وممارستنا للثقافة ولغة وللابداع وللتواصل ببسطها الدائم في خضم تناقضات وتسارعات وتيرة العصر وتطوراته.

أظهر تطور صناعة المعلومات واستخدامها إلى ظهور التواصل والابداع والتلقي بحلة جديدة، ما يحقق الأقوال المتعالية الداعية بوجود انعطافة بشرية في مختلف الميادين. ولعل الأمر لم يكن ليكون لولا اندماج التطور التكنولوجي الهائل مع القدرات البشرية ليتج ما بات يعرف بما

² المرجع نفسه ، ص 41.

³ سعيد يقطين، من النص إلى نص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ص 32.

بعد الإنسان Post human¹ ليصبح الإنسان في الألفية الثالثة، متحدا مع الآلة سواء كان ذلك اتحادا كليا أو جزئيا، حيث تطلق عليه "دون هاراي" بالسايبورغ Cyborg² في إعلانها الصادر عام 1989م والذي يحمل اسم "إعلان السايبورغ" ما يعزز على وجود انتقال وتحول هائل كان بداعي التأثير والتأثر على مدى واسع ومنفتح مع الآخر، باعتبار أن الآخر ما هو إلا مجموعة من العلاقات التي تقوم التكنولوجيا حاليا بربطها وجعلها قريبة صغيرة أو أشبه بيت واحد له طوايق عديدة، إلا أن العلاقات على اختلافها أحيانا قد تختزل كل شيء إلى كون فردي⁴، فنكون هنا أمام ما أطلق عليه بيتر سلوترديك مصطلح العزلة المترابطة.

ما تقصده دونا هاراي بالسايبورغ الكائن الحي السايبرنيتيكي، والكلمة بحد ذاتها نتاج اندماج كلمتي الكائن الحي Organism والسايبرنيتيكي Cyo/OrgCybernetic³ مع العلم أنها هي أول من

¹ أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص 247.

² السايبورغ Cyborg: تعطي المفردة معنى عاما مفاده تدعيم الحسد الحي بمكونات آلية اصطناعية، حيث كان الظهور الأول عام 1960، على لسان الثنائي مانفريد وناثان، ينظر: أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص 247. أيضا: ياسين أحمد سعيد، نصف إنسان نصف آلة، إضاءات، 2019/02/26، ص 02:34

³ ينظر: أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ص 247.

⁴ ينظر: حسن العيسوي، فلسفة العمارة، www.archifia.blogspot.com، 2019/03/02، ص: 01:38.

⁵ أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص 247.

نقله إلى الأدب والثقافة⁶. من أجل هذا، بات الحديث عن الإنسان بشكل منفرد لضرب من الخيال تقريبا؛ فالحياة خارج الآلة باختلافها قد يسبب في تهم كثيرة تلاحقه منها تلك التي تصفه بالرجعية والتخلف. تكتب كاثيرين هيلز: "منذ وقت ليس بالقصير سرت إشاعات عن أن عصر الإنسان قد سلم مقاليدته إلى عصر ما بعد الإنسان، ليس الأمر أن الإنسان قد مات، ولكن الإنسان بوصفه مفهوما قد تطور درجة أو درجات، فالإنسان ليس نهاية الطريق، إذ يزرغ من خلفه السايبورغ: الكائن الهجين المخلوق من تزاوج الكائن البيولوجي والآلية السايبرنيتيكية⁷، وهو الاندماج الذي يحطم حدود بعض الأقطاب المتنافرة، والمشتتة، كدلالة قد تكون نسبية وقد تكون كلية - على نظام من التفاعلات اللانهائية المفتوحة التي تعمل دون حدود ثابتة، ما يجعل انتقال عملية العزلة المنعزلة، إلى العزلة المترابطة، "فالعالم اليوم يعيش نقلة نوعية في تكنولوجيا الوسائط والإعلام، كتلك التي شهدتها عصر الطباعة والكتابة، هذه الأخيرة التي خلخلت الثقافة الشفهية وهزت عرشها⁸. يفرض هذا الإثبات هشاشة ووهم حقيقة الإنسان خارج عالم الآلة ما يبرر أيضا نضال الإنسان بحثا عن سبل تواصل أكثر حوارية،

⁶ المرجع نفسه، ص 247.

⁷ المرجع نفسه، ص 248، 247.

⁸ عبد الرحمن تهرمامين، آمال ماي، سيميائية الصورة البراغمية في الرواية رواية الصفيح محمد سناجنة أمودجاء، الملتقى الدولي السادس السيميائية والنص الأدبي، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ص 292.

جاعلا منها أداة و وسيلة لخدمته مستنطقا كل صعوبة كان يصعب الكشف عنه في وقت مضى، وهو الهدف الذي يبلور وجهات نظر مختلفة مع إيلاء اهتمام خاص يكمن في جوهر هذا التحول، الذي يصرح من خلاله مُنظرو التنمية أنه يمكن للشعوب لنامية استغلاله لباء نموذجها الخاص بمجتمع المعرفة². وعلى هذا، لم يعد الحديث عن الأدب والنقد بعيدا عن عصر التقنية جديدا أو غائبا عن فكر الثقافة المعاصرة، ذلك أن الثقافة الرقمية اتخذت معايير مائعة وسائلة، تقاس على أساسها مدى تفاوت المجتمعات فيما بينها، فألشاشة الزرقاء / انت حقيقة تحاصرنا من كل الجوانب وحالة تواصلية فعالة، تفرض نفسها شئنا ذلك أم أيننا، فما يعرض على النات يعتبر بالضرورة نصا، [و] رسالة متعددة الأبعاد والدلالات³، وهو الأمر المسلّم به حاليا، ما يجعلنا ندعن إلى القول بأننا أمام مشاهد متطورة تلاحق المعرفة والثقافة والأدب والنقد، عبر وسائط رقمية وإلكترونية. تحمل في طياتها دلالات وأبعادا فيها ما فيها من الرسائل التواصلية المتنوعة والمختلفة، المبطنة منها والمعلنة.

²نبيل علي، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة. رؤية عربية مستقبلية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، العدد 81، ط1، 2010م، ص14-15.

³عبد الرحمان نبرماسين، آمال ماي، سيميائية الصورة البراغمية في الرواية رواية الصفيح محمد سناجة أنموذجا، ص292. ما بين معكوفين زيادة مني لا أصل لها في النص حتى يستقيم التعبير لغة.

تردم التكنولوجيا فجوات كثيرة من العلاقات التي استحال في زمن مضى تحقيقها والوصول إليها، فالثقافة التكنولوجية المعاصرة بأبوابها المتعددة صنفت من البنى الثابتة، مجالا أكثر ميوعة وشفافية بحجة أنها لغة العصر، هذه الحقيقة خلّفت بيئة إنتاجية تجسد الواقع السايورغي انطلاقا من تداعيات (التفاعل/ الإنتاج الإنتاج/ التفاعل). وأقتضى الأمر بالضرورة تطورا أدبيا وفنيا يعكس هذه المتغيرات واسعة النطاق في الثقافة والمجتمع. فكان ما بات يطلق عليه الفن التطويري والموسيقى التطويرية والأدب الإلكتروني¹، وهنا نرى بأن الوسيط قد تغير، وتغيرت معه العديد من المفاهيم والمدرجات، قد نأخذ في ميزاتها صفات متعددة، ويكون الأدب أبرزها ليأخذ منحى جديدا في الإنتاج والتلقي، على أن الأخير يجمع بين الأدبية والصوتيات والبصريات، وتقنيات أخرى تخضع لحكم التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة.

تحدّد منظومة الأدب الإلكتروني بأنه "العمل الذي يحمل جانبا أدبيا مهماً ويستفيد من الطاقات والسياقات التي يوفرها الحاسوب المستقل أو المرتبط بشبكة الأنترنت²، والمقصود هنا، استعانة الأدب في كل تفرعاته وأجناسه، بالتقنيات الحاسوبية وبرمجياته، والاعتماد على الوسائط المتعددة والمتنوعة لخلق نص، مقدم بتجارب جديدة تدخل الصوت والصورة

¹ أمانى أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، ص 250.

² المرجع نفسه، ص 252.

والرسوم المتحركة، والموسيقى، وفن الإخراج...، كما تحدّد منظمة الأدب الإلكتروني التصنيفات التي يمكن أن تندرج تحت مسمى الأدب الإلكتروني:³

- الرواية والشعر الشعبي داخل وخارج الويب.
- الشعر الحركي الذي يقدم في فلاش أو يوظف منصات أخرى.
- الإنشاءات الحاسوبية الفنية التي تطلب من المشاهدين قراءتها أو التي تحمل جوانب أدبية.
- شخصيات المحادثة، والمعروفة أيضا باسم Chatterbots.
- الروايات التفاعلية.
- الروايات التي تأخذ شكل رسائل البريد الإلكتروني، الرسائل القصيرة أو المدونات.
- القصائد والقصص التي تم إنشاؤها بواسطة أجهزة الكمبيوتر، إما بشكل تبادلي أو بناءً على معايير معيّنة في البداية.

³ المرجع نفسه، ص 253، 252، منظمة الأدب الإلكتروني، تأسست عام 1999م، وتهدف إلى تعزيز الكتابة، والنشر والقراءة على الوسائط الإلكترونية، فقد وضعت لجنة خاصة يرأسها نوح واردريب فرون وهو مبدع وناقد متخصص بالأدب الإلكتروني.

- مشاريع الكتابة التشاركية التي تسمح للقراء بالمساهمة في نص العمل والأدوات الأدبية على الانترنت التي تطوّر طرقاً جديدة للكتابة.

تبعاً لذلك، تنظم البنى الدلالية العامة والخاصة - بعملية تواصل فيها التركيب والتفكيك والإدماج، مع وجود ميزة الانغلاق والانفتاح.



تتوسط الوسائط الإلكترونية المتعددة عملية التواصل الإلكترونية، ذلك أنها تقوم بتحريك العلاقة بين (النص والكاتب والقارئ في الأدب الإلكتروني) والذي سيؤدي في زمن لاحق إلى تغيير الأدوار والانتقال من

سلطة جمعية إلى سلطة مشخصة، تقوم على فردانية الانتقال والاندماج العام والخاص، حتى يصبح (القارئ والمؤلف شخصا واحدا) نظرا لما تحمله العوالم التكنولوجية من خصائص؛ إن المؤلف والقارئ يصبحان أكثر وأكثر الشخص نفسه وتصبح التكنولوجيا الرقمية مسؤولية¹، أي أن الحدود بين لاثنين (القارئ والمؤلف) قد باءت بالتلاشي والاختفاء والزوال، حيث تتاح فرصة للقارئ بأن يصبح المؤلف القارئ والقارئ المتفاعل، والناقد ثم الناقد المتفاعل؛ حيث يطرح لنا لاندو الطريقة الممارساتية التي يعتمد عليها الأدب الإلكتروني أو الالكترونيات، أو الروابط الالكترونية المتعددة في اختزال وطمس تلك الحدود بين الكاتب والقارئ فمن خلال السماح بمسارات مختلفة من خلال مجموعة من الوثائق، فإنه يجعل القراء، بدلا من الكتاب يتحكمون بالمواد التي يقرؤونها وبالترتيب الذي يتم قراءتها به²، وتزيد أماني أبو رحمة في مؤلفها أفق يتباعد من الحادثة إلى بعد ما بعد الحادثة، أنه وعندما يمتلك القراء السيطرة على ما هو أمامهم من نصوص وقراءة، إلى غاية وصولهم درجة تغير المعنى فإنهم يصبحون عرضة لمغامرة أن يكونوا مؤلفين لا قراء فحسب، فإذا كان المؤلف يخطط في بداية إنشائه للنص، القبض على القارئ

¹ أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحادثة إلى بعد ما بعد الحادثة، ص 255.

² المرجع نفسه، ص 256.

ومخادعته ومحاولته مراوغة المعاني الممكنة التي سيكتشفها القارئ في لاحق قراءته، فسيأتي القارئ المتفاعل ليغيّر النص ويعطيه منحى آخر وترجمة أخرى لم تكن مقررة صراحة من قبل المؤلف، فإن القارئ يتحوّل إلى مؤلف مشارك، ما يجعل القارئ داخل حيز من التفكير، وهو الذي أقحمه فيه المؤلف سابقاً، الأمر الذي قد يحوّل ظاهرة التأويل من تعدد المعنى إلى تشعب وانفلات المعنى بجدارة واستحقاق، تلك المعاني الأولى التي صاغها النص الأول، وعلى هذا فإن النص الإلكتروني لا يميز بين المؤلف والقارئ والنص نفسه، ولكنه ينظر إليهم جميعاً بوصفهم أجزاء من نظام، وإن استبعاد أيّا منهم يعني أن النظام لن يعمل بالكفاية المطلوبة، والصورة الأخيرة التي يرسمها الأدب الإلكتروني هي مجموعة كبيرة من الأفراد يتصرفون بوصفهم قراءً ومؤلفين في شبكات التغذية المرتدة المعقدة¹.

خلاصة:

وعليه؛ نحن أمام فقاعات ثلاث تلعب دور المتحول الثابت والثابت المتحول، ليكون المتحكم مقترناً بـ: الكاتب، والنص الإلكتروني، والقارئ (القارئ القارئ/ القارئ المتفاعل / القارئ المتفاعل الكاتب).

أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحادثة إلى بعد ما بعد الحادثة، ص 257



- **عدمية الإنتاج:** حكم ثابت متحول، يستند إلى طبقات لمعرفة المعاصرة، الخاضعة لشاكلة مرهونة بأدوار تتحدث عن موت كتابي واحد، لم يطور عدة التواصل خاصته، ولا ينتبه لأهمية التنوع الخاضع لعالم يتعولم، ولا يولي اهتمامه للأداء المتناقض المتصل في الغالب الأعم، بالحضور الفاعل لكفاءة ما، بميدان ما، في جهة تركيبة ما أيضا.
- **تعددية الاختزال:** مجمل ستيعاب، ينوء برؤية المآل الذي آل إليه المتفاعل، بإلغاء كلفة العدمية الأولى، مع إيلاء إشكاليات المعالجة الموصولة، بتحول ما، سواء كان هذا بعيدا عن السياق أو باشتراك

الاثنين معاً، حيث تقوم صفة الاختزال، بحكم التفوق الهائل، على جدلية غائبة، تتيح للنسق المنتج فاعلية وتركيبية رمزية، أكثر مرونة، تنمط الأداء التواصلّي بالوسائط المتعددة.

- **تحوّل مكبح:** موقف مفترض، يعادل القوالب المجدّدة داخل دائرة الإنتاج، حيث يعمل هذا التحوّل، على استدعاء الوسائط المتعددة لإعادة تركيب الأبنية المتجددة داخل التحويلات الجزئية البديلة لحكم عدمية الإنتاج، ومع ذلك تظل صفة التحوّل مكثفية بأنماط معينة دون أخرى، لتفتح مجال التواصل المتوالد، مع العالم ومنتجاته المعرفية الجديدة حيث تنتج هذه التمايزات قائمة من التحويلات الواسعة التي تضرب طبيعة المفاهيم في جوهرها، على نحو شبكة مفاهيمية متقابلة:



نقترح في هذه القائمة الممثلة أعلاه، جملة من المعايير التي تخضع الإنتاج الإلكتروني؛ حيث تمثل هذه المفاهيم هيمنة متعددة الموضوعات، فليس بمقدورنا أن نلج باب التلقي الإلكتروني دون معرفة النطاق المفاهيمي الذي يعود في غالبه إلى عوالم مشحونة بالدقائق التكنولوجية الحديثة والمعاصرة، وبذلك، نستدعي صياغة معينة تخالف الصياغة الورقية التي اعتاد عليها المتلقي من الطراز الورقي، بحثا عن مستوى فكري نرى فيه ترجمات ومعادلات معينة لنظرية القراءة والتلقي تحت ضوء الإنتاج

الالكتروني في مقابل المتلقي المتفاعل. فهذا التنظير المرجو تحقيقه لأداء فعلي مبني على مستوى الإلحاز، يأخذنا إلى حتمية إعادة مراجعة بعض المفاهيم النقدية والأدبية، حتى تفرز الوسائط الالكترونية المتعددة صيغا رقمية تمكننا من القبض على تلايب المتلقي / المتفاعل الجديد داخل عتبة تعبيرية إنتاجية جديدة، لكن "نتيجة لطبيعة تشكر النص الرقمي، فإن قراءته تستلزم امتلاك نفس آليات الثقافة الرقمية، وهذا يفترض على القارئ أن يمتلك هو الآخر - شأنه شأن المؤلف الرقمي - نفس إمكانيات الثقافة الرقمية"؛ وهذا يعني أن المنتج والمتلقي يستخدمان التقنيات ذاتها التي تقرب الإبداع عبر الوسائط الرقمية إلى نهاية البداية، وبداية النهاية ليكون الوضع أكثر انفتاحا واستمرارا.

¹ زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 38.

خاتمة

وفي قاعدة هذا العمل وقفنا عند:

- الصورة الشكلية لبنية المقاربة (المنهج)؛ إذ المتوصل إليه أولاً هو كيف تحدث القراءة؟ وكيف تطبق على النصوص؟ وكيف تخرج إلى الإجراء المناسب مع البنى النصية؟ وهذه طبيعة أولى.
 - تمّ تقديم نماذج بمخرجات مدرستين مختلفتين؛ كالجمع بين المدرسة السيميائية الأمريكية بمنطق إيرس السيميائي، وبين حدسية الظاهرية الألمانية مع هوسيرل (Husserl) [محمد الماكري]. ولا يجمع بينهما إلا مركزية القارئ وقصدية الأشكال بوصفها علامات دالة، أو الجمع بين السيميائية والتداولية [محمد مفتاح]، أو الجمع بين البنيوية والسيميائية والتفكيكية ونظرية القراءة [الغدامي].
- [الدراسات الثقافية/ هوية المنهج]
- تقاطع المدرسة الفرنسية في فكرة النصوص المصاحبة مع المدرسة الألمانية في تتبع أفق التوقع، وكلاهما تأويل مجمل، يصدقه التأويلان المفصل والحر، وهذا قماه غريب وتداخل يستدعي النظر .

- ارتباط الصورة الشكلية لبنية المقاربة بمرحلة الحادثة؛ لأن الهدف يومئذ متعلق بالمنهج في صورتيه النظرية والإجرائية، وهذه خصوصية.

- المنهج والبنى المضمونية ومحمولات النصوص في مقاربات ما بعد الحادثة؛ فنظرية أفعال الكلام تقتضي الاستلزام المفهومي في القول وفعل القول ومحمول القول، كم تقاربه التداولية، وتسعى إلى إدراك التحميل الدلالي بين دائرتي التواصل إنتاجا والتفاعل فهما واستيعابا، بما ينمي وظيفة التوجيه والتقدير ووظيفة التمرير. وفي السياق ورعاية الموقف وتعيين المقاصد ما ينطق علاقة المتخاطبين إنتاجا وفهما؛ فيكون المعنى حاصل حوار بين الملفوظ والقصد بمركباته وطبيعة السياق وإطار التلفظ، وإن كان في حال الكاليفراف يبدو تشكيلا على علاقات اليأض بالسواد؛ وصلته بالمعنى والدلالة، وفي ذلك تحولات متسارعة.

- مركزية النص في المدرسة الفرنسية مع التفكيك في مرحلة ما بعد الحادثة التي تقتضي التجربة الفردية، ومع البنيوية والسيما والأسلوية في مرحلة الحادثة التي تقتضي التجريب والقياس. وعليه؛ فمركزية النص لا تتعلق بالمراحل التاريخية ولا بالموقف

- الحضارية والثقافية بقدر ما تتعلق بالمدرسة والتصور العام للفهم والإدراك في المدرسة الفرنسية، وهذه خصوصية نظرية فرنسية.
- مركزية القارئ في المدرسة الألمانية، واعتماد التلقي التاريخي، وجماليات التجاوب خصوصية نظرية ألمانية مرتبطة بالمرحلتين: الحداثة وما بعد الحداثة.
- مبدأ التعاون في المدرسة الإنجليزية، واعتماد التداول والاستعمال المشترك ومحمولات أفعال القول تنوع معرفي، وإخراج للفلسفة إلى الواقع، وهو توجه آخر في الفكر الغربي المعاصر.
- في المدرسة الانجليزية الجامعة بين السيمياء والتأويل، خروج عن نظرية الأشكال الدالة بالقصد إلى صور التأويل الاجتماعي والثقافي كما تفترضه مدرسة برمنجهام للدراسات الثقافية التي تعدت الأدبي إلى الشامل والكلي في مقارباتها بين النخبة والجماهير، وهو تجاوز فيه تجديد وواقعية يصنعان إطارا معرفيا للمدرسة.
- المدرسة الأمريكية المتطورة ذاتيا والمتحوّلة من نظرية شاملة أساسها التوليد والتحويل ومركزية التركيب إلى نظرية النص وتحليل الخطاب، مع اعتماد مخرجات نظريتين متنافستين: الدلالة التوليدية في مقابل الدلالة التصويرية. وفي هذا المشهد أهمية النقد الذاتي

المفضي إلى التطور والإبداع، ونبت التقليد والجمود؛ وذلك بتمثل الاستعمال والتداول وتفسير ظواهر الإنتاج والإدراك بالتوليدي وبالتصوري الذهني وفق معطيات هندسة التوازي.

- طغين المد الييني والتحوّل من نقاء التخصص إلى تكامل المعارف، وهو تحوّل نوعي، فيه شيء من العود على البدء ولكن مع اختلاف في التصوّر؛ فالشمولية معرفة شاملة، وهي مرحلة سابقة في تاريخ الفكر البشري، والتخصص معرفة دقيقة منغلقة، وهي معرفة لاحقة، تحمل معرفة متخصصة، ثم تعود الشمولية من جديد، بوصفها تخصصاً مفتوحاً على تخصصات أخرى تتكامل في ظل المعرفة الكلية بالتحليل والتركيب والتقويم، والإدراك الكلي، الذي يستوعب الظواهر في شموليتها.

- الخروج من الورقي إلى الإلكتروني واعتماد التفاعل عن بعد داخل العزلة المترابطة بالاتصال المكفول بوسائل التواصل العلمي والتكنولوجي، مؤسساً مجتمع الرغبة والطبيعة السائلة للقيم من منظور تحوّل القيم والعزلة المترابطة.

- الحوسبة اللغوية في اللسانيات وفي اللسانيات التقابلية والترجمة، والمعجمية والبحث الدلالي المحوسب، عمل تحليلي لساني معجمي

يجري على التوافق اللساني الثقافي في الاستعمال والتداول، أو وفق دلالة الألفاظ سيميائيا، والانتقال من المعنى المعجمي إلى المعنى التداولي بالقصد والسياق، مع إمكانية حوسبة التحليل السيمي بتزكية الخصائص المميزة للفظ ومراعاة التجاور والتوتر والمثابرة ونسيبه الاستعارة في الاستعمال والتداول، تعيينا للمعنى الحاصل في مرحلة الإنتاج. إنّ حوسبة مركبات اللغة فعل عام يتعلق باللسانيات الحاسوبية، والبحث في الدلالات والمعاني وفي التراكيب فعل خاص تقتضيه حوسبة اللغة والبرمجة والاستعمال، في مجالات الترجمة وتحليل الخطاب، وكلّها مجالات تطبيقية، تظهر فيها المعرفة (العرفانية / cognition) والبيئية (interdisciplinarité) بوضوح.

المراجع والمصادر

باللغة العربية:

- أحمد مداس، قراءات في النص ومناهج التأويل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018.
- أحمد مداس، قضايا في تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2019.
- أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب، دار عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط2، 2009.
- أماني أبو رحمة، بيتر سلوترديك الأنتروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مؤمنون بلا حدود المغرب الرباط، 2015.
- أماني أبو رحمة، أفق يتباعد من الحداثة إلى بعد ما بعد الحداثة، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014.
- إيزر، التخيلي والخيالي من منظور الانطروبولوجية الأدبية، ترجمة: حميد حميداني والجلالي الكدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
- بيتر ستوكويل، مقدمة في النقد لمعرفي، تر: سلمي سليمان، دار لنشر العلمي ومطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1431هـ.
- براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م.
- تيم إدواردز، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تر: محمود أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012.

- سايمن ديورينغ (Simon During)، الدراسات الثقافية، مقدمة نظرية، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015
- سعد عبد العزيز مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/2002م.
- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 2005.
- سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، دار الأمان، المغرب، الرباط، ط1، 2012.
- شيفر جون ماري، الفن في العصر الحديث، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996.
- صالح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- صالح بن رمضان، التفكير اليبني، أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، د ت ط.
- الغدامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى انتشيرية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط6، 2006.
- غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، تر: هاشم صالح، دار السامي، لبنان، بيروت، ط1، 1991.
- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986

- عبد المجيد نوسى، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية- التركيب- الدلالة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1423هـ/ 2002م
- محمد أركون، القرآن من التفسير إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صلاح، دار الطليعة، 2005
- محمد بوعزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2014
- محمد الداوي، سيميائية السرد، بحث في الوجود المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009.
- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992.
- محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1994.
- محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2006.
- محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989.

- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل وقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
- عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجلبي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001.
- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2005.
- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان، مصر، ط1، 2003.
- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو منهج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- هلال ناتوت، الصحافة نشأة وتطورا، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2006.
- يورجن هابرماس وآخرون، التحليل الثقافي، تر: فاروق أحمد وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2009.
- المقالات / المجلات / المؤتمرات:
- عبد الإله فرح، زيجمونت باومان والسوسيولوجيا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، نوفمبر 2017.
- بيتر ستوكويل، نحو لسانيات معرفية نقدية، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، تر: احمد الملاح، طرابلس، لبنان، العدد 44، 2018

- بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية، اللسانيات والأدب موضوعان معرفيان، مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد 2.
- عبد الرحمان تيرماسين، آمال ماي، سيميائية الصورة البراغمية في الرواية رواية الصقيع محمد سناجلة أنموذجاً، الملتقى الدولي السادس السيميائية والنص الأدبي، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، الجزائر، نوفمبر، 2008.
- لوس إيريكاري، كيف تشارك المادة في الأفكار، تر: عبد الرحمان مزيان، مجلة لوغوس، تصدر عن دار الكنوز، تلمسان، الجزائر، ع الأول، جويلية، 2012.
- محمد قماري، التفكير اليبني، نحو كسر للحواجز بين الاختصاصات، مجلة مقاليد، العدد 14، حوان 2018.
- نسيمه هروس، في الخطاب اليبني، خواطر نظرية من وجهة نظر المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد 27، ديسمبر 2016.
- نبيل علي، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة: رؤية عربية مستقبلية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، العدد 81، 2010م،
- يسرى وجيه السعيد، مصطلح السيولة المعاصرة وارتداداته عند زيجمونت باومان، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، ديسمبر 2016.

الرسائل الجامعية:

- الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي جامعة محمد خيضر بسكرة - أنموذجاً - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في

علم الاجتماع تخصص علم اجتماع الاتصال كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد خبضر بسكرة 2016/2017.

باللغة الأجنبية:

- C.K.Orécchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, librairie Armond Colin, Paris, France
- G.Lakoff, women, fire and dangerous things, what categories reveal about the mind, university of Chicago press, Chicago, U S A , 1987
- G .Fauconnier., espaces mentaux, minuit, Paris, 1984.
- Groupe d'Entrevignes, analyse sémiotique des textes, introduction, théorie, pratique, presses universitaires de Lyon, éd du seuil, 1997
- Jackendoff .R., Semantics and cognition , Cambridge, Massachusetts, 1983.
- Jackendoff. R., semantic structures, Mit press, 1990.

Jackendoff. R., semantic the role of linguistics in cognitive science, the state of the art, the linguistic review.

Jackendoff.R, Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002.

- Jackendoff. R., language, consciousness, culture essays on mental structures, Mit press, 2007S. Talmy, toward a cognitive semantics, Mit press,2000.
- Jackendoff, R., semantic structures, the MIT press Cambridge. Mass., 1990
- Jackendoff, R., Foundations of language, brain, meaning, grammar, evolution, Oxford University press, 2002
- J.F.Sawa, cncyclopedia of artificiel intellgence, 1987.

J.M.Adam, textes types et prototypes, récit, description, explication, et dialogue, Nathan, Paris, 4è édition, 2001

Pinker. S, learnability and cognition, the acquisition of argument structure, Mit press, 1989.

- Woods. W.A., foundations for semantic, 1975.

Andeler. D., sciences cognitives, encyclopedia, Universalis, V65.

مواقع إلكترونية:

- أنديرا مطرا، عصر "الحداثة السائلة" أفول الإنسان العمومي، القبس الإلكتروني، 14 / مارس / 2019.

- حسن العيسوي، فلسفة العمارة، www.archifia.blogspot.com, 02 / 03 / 2019

- محمد يسري أبو هذور، عندما تصبح الحداثة سجنًا للإنسان، الميادين نت، 17 / 03 / 2019

- هبة عزت رؤوف، الحداثة السائلة، من فعاليات البرنامج لثقافي المصاحب لمعرض الكتاب العربي الأول في اسطنبول، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، موقع يوتيوب، 17 / 03 / 2019.

- Anne Chalard-Fillaudeau, les cultural studies : une science actuelle, dans L'homme et la société, 2003/3(no 149) pages 31-40.
<https://www.cairn.info/revue-l-homme-et-la-societe-2003-3-page31.htm>.

- Danièle Dubois, psycholinguistique et psychologie du langage, in l'année psychologique, puf, 1972,vol.72, n2,:[http : www.persée.fr/doc/psy_0003-5033_1972-num72_2_27960](http://www.persée.fr/doc/psy_0003-5033_1972-num72_2_27960).

- Davy Bigot et Robert Papen, la sociolinguistique en résumé, [uoh.concordia.ca/ sociolinguistique](http://uoh.concordia.ca/sociolinguistique).
Stéphane Van Damme, comprendre les cultural studies : une approche d'histoire des savoirs, dans revue d'histoire moderne et

contemporaine,2004/5, (no51-4 bis), pages 48-58. https :
[www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-](https://www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-pages-48)
[pages-48](https://www.cairn.info/revue-d-histoire-moderne-et-contemporaine-2004-5-pages-48)

- http://Aljabriabed.net/n96_05ganem.htm
- [https :www.almaany.com](https://www.almaany.com)
- <https://context.reverso.net> français-arabe
- [https : //dictionnaire.reverso.net](https://dictionnaire.reverso.net),
- [https:/ fr.globe.com](https://fr.globe.com) variété.
- <https://www.larousse.fr> français-arabe.
- [http://mustafahaddad.blogspot.com/2007 05/blog-post_15html](http://mustafahaddad.blogspot.com/2007/05/blog-post_15.html).

المحتويات

5	مقدمة.....
11	المعلم الأول.....
11	علم الدلالة المعرفي وتحليل الخطاب.....
11	رؤية في الفهم والاستيعاب وتفسير ظواهر الإنتاج اللساني.....
15	أولاً- مدار الحدود والمفاهيم:.....
15	اللسانيات والعلوم المعرفية:.....
19	اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي: المؤثران الطبقي والجغرافي.....
26	ثانياً- مدار المسألة والاستقصاء:.....
49	المعلم الثاني: التخصصات البينية وتحليل الخطاب.....
49	رؤية جديدة لمحور تكامل المعارف.....
50	فما البينية وما مجالات اشتغالها في تحليل الخطاب؟.....
50	البينية : المفهوم ومجالات الاشتغال:.....
50	البينية في الموضوعات والتخصصات:.....
54	البينية في مناهج التحليل والمقاربات:.....

بينية الحوسبة في تحليل الخطاب: من فاعلية الدماغ البشري إلى فاعلية الحاسوب (
البنية المركبة).....	67
المعلم الثالث: مناهج تحليل الخطاب	77
من التجريب والقياس (التقييس والنظر) إلى التجربة الفردية	77
مقدمة:	77
التجريب والقياس في مقاربات مرحلة الحداثة:	79
ممارسات ذاتية فردية وتجريب قابل للقياس.....	79
التجربة الفردية في مرحلة ما بعد الحداثة:	95
ممارسات فردية ذاتية من دون نموذج سابق	95
الدراسات الثقافية: نماذج حية للتجربة الفردية	106
تخصصات بينية وتحولات وإعادة نظر في الفكر والممارسات الإنسانية:	106
مفهوم الدراسات الثقافية:	107
التخصصات المعرفية في الدراسات الثقافية:	109
الموضوعات:	111
المنهج:	114
مشاكل الدراسات الثقافية:	116
المعلم الرابع*: رؤى نقدية معاصرة	123

123.....	في الإدراك والإنتاج وتحليل الخطاب
123.....	التحويلات والرهانات (مأزق البت في ما (يمكن/ لا يمكن) البت فيه):
146.....	التحويلات الوسائطية (الوسائط الجماهيرية/ الوسائط المتعددة):
146.....	الوسائط الجماهيرية:
149.....	تعددية الوسائط الجماهيرية:
153.....	الوسائط المتعددة: ... نحو عالم الرقمنة والنقد البيئي المعرفي:
167.....	خاتمة
173.....	المراجع والمصادر

